

الإباضية والمرجئة

دراسة مقارنة

عرض وتقد

د. مي بنت حسن محمد المدهون (*)

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وصل اللهم وسلم على رسولك المبعوث رحمة للعالمين.
أما بعد،،،

فإن الخلاف في مسألة تعريف الإيمان والكفر كان أول خلاف في الملة وظل من أعظم قضايا الخلاف بين هذه الأمة في عصورها كلها. فمنهم من يكفر المسلم بالذنوب ويقر بخلوده في النار وفرقه تقول بالمنزلة بين المنزلتين لا هو مسلم ولا كافر مع خلوده في النار وفرق مضادة لهذا القول وقالت أنه لا يضر مع الإيمان معصية وأقرت خلود الموحّد والعاصي في الجنة لأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وأهل السنة والجماعة هي مذهب الوسط في ذلك فقالت بإيمان مرتكب الكبائر وأنه لا يخلد في النار إذا مات على معصية إما أن يعذبه الله أو يعفو عنه برحمته وإذا تاب تاب الله عليه.

فمن الفرق التي تمثل من قال بكفر مرتكب الكبيرة كفر نعمه هم فرقة الإباضية وتعتبر من الفرق المعتدلة بالنسبة لفرقة الخوارج التي انشقت عنها وكان لفرقة الخوارج وتشددهم في حكم مرتكب الكبيرة تيار مضاد وهو فرق الإرجاء الذين أخذوا الطرف المقابل وقالوا لا يضر مع الإيمان معصية ثم

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الدراسات الإسلامية - شعبة العقيدة والدعوة -
وزارة التعليم العالي - جامعة الملك عبد العزيز.

تطور هذا القول وانتشر في الأمة الإسلامية عبر قرون طويلة ظهرت آثارها اليوم ونجدها في تراخي الأمة عن العمل وضعف مفهوم الإيمان الكامل الصحيح الذي يولد العمل معه وانتشار بعض مظاهر الشرك مع اعتقاد صحة الإيمان كزيارة الأضرحة اليوم لا لطلب النفع منها أو لدفع الضرر عنه وإنما إجلالاً لأهل هذه الأماكن مع اعتقادهم التام بأن الله هو النافع الضار.

فكتبت عن فرقتين استمر وجودهما إلى يومنا الحاضر منهما يمثل التيار المتعصب والمتشدد وهي فرقة الإباضية والأخرى على العكس منها تمثلها المرجئة بإشراف الأستاذ الدكتور محمد عمر، فعرضت لأقوال كل فرقة مقارنة مع أقوال أهل السنة والجماعة وقسمت بحثي إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

* مقدمة

* المبحث الأول الإباضية:

المطلب الأول: نسبة الإباضية ونشأتها.

وفيه تمهيد ومطلبان

المطلب الثاني: عقيدة الإباضية.

* المبحث الثاني المرجئة:

المطلب الأول: التعريف والنشأة.

وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الثاني: أهم عقائدهم.

* الخاتمة وبها أهم النتائج.

وما انتهيت إليه في هذه الدراسة هو غاية ما بذلت من جهد فإن أصبت فهو فضل من الله سبحانه وتعالى أحمدته عليه، وما أخطأت فيه فهو طبيعة النقص الإنساني وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد وإنه نعم المولى ونعم النصير.

• تمهيد: نشأة الخوارج وأهم صفاتهم:

نشأت الخوارج بسبب التحكيم في الخلاف بين الإمام علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه في موقعة صفين سنة ٣٧هـ فأنشبت هذه الحادثة وذيولها فرقتين كبيرتين لهما منهجين متضادين يحوي كل منهما فرقاً كثيرة كانت وما تزال لها وجودها الملموس وخطها المتميز وانحرافها البعيد وهما فرقتا الخوارج والشيعية ومن الخوارج كانت فرقة الإباضية التي هي موضوع البحث هنا.

فكلمة خارج عند مؤرخي الفرق كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً وكان أول ظهور الخوارج هو ذو الخويصرة أو عبدالله بن ذي الخويصرة اليماني الذي بدأ الخروج بالاعتراض على النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة الفيء واتهامه إياه بعدم العدل والحديث بطوله في صحيح البخاري^(١).

ومن هنا كانت نزعة الخروج ولم يكن خروجاً حقيقياً بل مجرد حادثة فردية إعتراضية والخوارج كفرقة لها رئيسها ومبادئها لم تظهر إلا بعد

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة حديث رقم ٣٣٤١/ج ١١

ص ٤٤٢: وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم حديث رقم

٢٥٠٥ ج ٣، ص ١١٢.

معركة صفين حيث حملت الخوارج علياً رضي الله عنه لقبول التحكيم ثم اختارت الحكم وبعد ذلك تبين لها خطأها واعتبرت التحكيم جريمة كبيرة وطلبت إلى علي أن يتوب عما ارتكب لأنه كفر بتحكيمه كما كفروا هم وتابوا فرفض علي رضي الله عنه فقررروا الانفصال عنه وتكوين إمارة مستقلة وتعيين أمير عليهم وعرضوا الأمر على بعض زعمائهم فرفضوا وقبلها أخيراً عبدالله بن وهب الراسبي وبايعوه في شهر شوال عام ٣٧هـ ونزلوا النهروان وكتبوا إلى أصحابهم أن يوافهم بها ويتجمعوا هناك^(١).

فقابلهم علي رضي الله عنه وحاول أن يقنعهم بالعدول عن رأيهم والرجوع إلى الجماعة وتجنب القتال والفتنة وبالفعل عاد قسم منهم وبقي الآخرون على رأيهم فقاتلهم علي وانتصر عليهم في صفر سنة ٣٨هـ، وقتل أمامهم وجل أتباعهم، وهم ما سموا بالمحكمة الأولى ثم تفرقت الخوارج إلى عدة فرق بلغ بها بعض كتاب الفرق العشرين وأهم فرق الخوارج هي:

١- المحكمة الأولى

٢- الأزارقة

٣- النجدات

٤- الصفرية

٥- الإباضية

وهذه الفرق أشد الفرق الإسلامية نفاعة عن مذهبها وحماسة لآرائها وأشد الفرق تديناً في جعلتها وأشدّها تهوراً واندفاعاً^(٢).

(١) دراسة في الفرق: أجمد جلي ص ٥٠.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية، أبو زهرة ص ٦٠.

• المطلب الأول: نسبة الإباضية ونشأتها:

الإباضية:

١ - النسبة:

الإباضية تنسب على الأرجح إلى عبدالله بن إياض المقاعسي المري التميمي^(١) وهم فرقة من فرق الخوارج الممتدة إلى يومنا هذا في عمان والمغرب وتونس وليبيا.

الإباضية بفتح الهمزة^(٢) أو كسرهما^(٣) إحدى الفرق الرئيسية في الفكر الخارجي - كما تقدم - وترجع أصول هذه الفرقة إلى عدد من التابعين بزعمهم كجابر بن زيد الذي استحلوه وليس منهم^(٤)، وأبو عبيدة بن مسلم بن أبي كريمه^(٥)، والربيع بن حبيب^(٦) وغيرهم إلى جانب عبدالله بن إياض^(٧).

(١) العقود الفضية ص ١٢١.

(٢) إباضية عمان يذهبون إلى فتح الهمزة (إياض).

(٣) إباضية تونس والمغرب يقولون بكسرها (إياض).

(٤) ذكرت براءة جابر بن زيد في كتاب الطبقات لأبن سعد ج ٧ ص ١٣٢، وللتهذيب لابن

حجر ج ٢ ص ٤-٥، وحلية الأولياء ج ٣ ص ٨٩.

(٥) هو أبو الشعثاء ولد سنة ٢١ هـ وتوفي سنة ٦٣ هـ روى عن عدد من الصحابة منهم

عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وابن الزبير وروى له البخاري ومسلم في

صحيحهما وقال فيه عباس بن أبي يحيى بن معين يذكر انتسابه إلى هذه الفئة فإذا

كانت النسبة صحيحة فلماذا سميت الفرقة بالإباضية ولم تنسب لجابر بن زيد ؟!.

(٦) الربيع أصله من عمان من قضبان قصد البصرة وأدرك جابر وأخذ عنه وتولى

رئاسة المذهب وله مسند مشهور بالجامع الصحيح روى فيه عن جابر بن زيد وعن

ابن عباس وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم.

(٧) العقود الفضية ص ٩٠.

ويعد الإباضية جابر بن زيد المؤسس الحقيقي لمذهبهم وصاحب اليد الطولي في نشر الاتجاه الإباضي وإعطاءه صبغة الاعتدال التي ميزته عن سائر الاتجاهات في الفكر الخارجي.

أما ابن أباض فقد كان المسنول الرئيسي عن الدعوة والدعاة في مختلف البلاد أي يمثل الجانب السياسي لهذه الحركة^(١).

٢ - النشأة التاريخية والتطور:

بعد انتهاء موقعة النهروان وانهزام الخوارج فيها لم ينج منهم إلا نفر هربوا إلى البصرة ثم انتشروا في الجزيرة العربية وشمال أفريقيا. ولما جاءت الدولة الأموية استمرت الخوارج ومنهم الإباضية كقوة مناهضة لها وخاضوا المعارك الانتحارية ضد جيوش الأمويين وولاتهم وحاولوا سحقهم بكل قسوة وشدة حتى انكسرت شوكتهم ورغم هذا قام الخوارج بثورات عديدة في أنحاء متفرقة من الدولة العباسية واستطاعوا أن يكونوا لهم دولة في عمان استقلوا بها عن الدولة العباسية في عهد أبي العباس^(٢) وأمتدت نفوذها إلى زنجبار.

إباضية عمان:

دخل المذهب الإباضي إلى عمان مبكراً واستقر هناك وتكون له أتباع وأخذ في الازدياد مع مرور الزمن ويرى السالمي أن انتشار المذهب الإباضي في عمان كان على يدي عبدالله أباض ويقول في ذلك (والرواه المسلمون يذكرون بأن قدم إلى عمان رجلان أحدهما الإمام عبدالله بن أباض ونشر هناك مبادئ المحكمة)^(٣).

(١) تاريخ الحركات الفكرية واتجاهاتها: عبدالرحمن بن عثمان الملا ص ١٢٠.

(٢) امتنت ولاية أبي العباس من (١٣٢-١٣٦ هـ).

(٣) نشأة الخوارج، د. العواجي وأحاله إلى كتاب عمان التاريخ يتكلم ص ١٣١ للسالمي والسالمي أباضي المذهب.

ثم قامت دولة مستقلة لهم وانتخبوا أول إمام وهو الجلندي بن مسعود الأزدي، ودام حكمه سنتين وشهر واحد، إذ أن نزعته إلى استقلال عمان عن الدولة العباسية أغضبتهم عليه وأنتهت الثورة بمقتل الجلندي وظلت جزءاً من الدولة العباسية إلى سنة ١٧٧هـ.

ثم قام الإباضية باختيار إمام تلو الإمام حتى سنة ٢٧٧هـ حينها اشتد ضرام العصبية القبلية واشتعلت الفتن واستنصروا بالمعتضد الخليفة العباسي الذي وجدها فرصة ذهبية لك للانقضاض على عمان والاستيلاء عليها وإعادتها إلى حظيرة الخلافة العباسية لمدة أربعين سنة حتى عام ٣٢٠-٢٨٠هـ حيث تولى الإمام سعيد بن عبدالله بن محبوب وكان مطاعاً إلى أن قتل ٣٢٨هـ^(١).

وأستمر الحال في عهد الدولة العباسية وما بعدها من خروج على الوالي وطرده عامل الدولة وتعيين إمام لهم حتى سنة ٩٤٢هـ كثرت الفتن بوفاة الإمام (بركات بن محمد إسماعيل) وظهر بعده أمراء محليون ضعاف لا هم لهم إلا تأكيد نفوذهم والسيطرة على مقدرات الناس دون وجه حق.

وبعد أن شهدت البلاد بعض الفتن والتحولت برز أئمة اليعاربة الذين جعلوا عمان أقوى في المحيط الهندي والخليج العربي وكانت أساطيلها الحربية تحمي إمبراطورية كبيرة وعظم شأنهم وأستتب الأمن وزاد الرخاء وانتشر التعليم وكان أول أئمة اليعاربة هو الإمام ناصر بن مرشد اليعربي سنة ١٦٢٥م.

(١) جميع الأئمة عندهم يقتلون إما حرباً أو خروجاً عنهم.

ثم جاء حكم (البوسعيديين) على يد أحمد بن سعيد وما جاء بعده من أسرته وتدخلت بريطانيا عن طريق خصوم البوسعيديين وقامت عدة ثورات حتى ١٩٥٤م - ١٣٧٣هـ.

وفجأة وبدون مقدمات زحفت السيارات العسكرية البريطانية وكانت نهاية الإمامة في عمان بعد تلك المعارك التي دارت بين أتباعهم من جهة والسلطين الإنجليز من جهة أخرى^(١).

واستطاع الفكر الاباضي المحافظة على وجوده وتطبيقه إلى يومنا هذا في عمان عن طريق الدعاة للمذاهب الاباضي فازداد انتشاره وكثر اتباعه وكان الحج فرصة أو وسيلة ساعدت على نشر المذهب الاباضي بين الحبيج من خلال قيام علماء المذهب بالدعوة إلى مذهبهم وإلقاء الدروس والمواعظ والإجابة على الأسئلة وإعطاء الفتاوى وعن طريق المناظرات التي تقوم بينهم وبين غيرهم من علماء المذاهب الأخرى.

فضلاً عما كان يقوم به التجار من نشاط كبير في الارتحال والانتقال بين عمان وغيرها من البلدان مما كان له اثر كبير لنشر المذهب في مصر والبربر في بلاد المغرب ثم تونس وليبيا.

فانتشر المذهب الاباضي في مصر في القرن الثاني للهجرة وظل موجوداً بينهم حتى عصر صلاح الدين الأيوبي في القرن السادس الهجري، لعدة أسباب منها اتصال الاباضيين في الخليج العربي وعمان بالإباضية في مصر لتحريضهم ضد ولاتها سواء كان من قبل الخلافة الأموية أو العباسية أو ظهور جماعة التكفير والهجرة اليوم وهي فرقة تشبه في أصولها الخوارج الأولى.

(١) الخوارج، د. عواجي من ص ١٦٣-١٢٠ باختصار.

وذلك لما لجأ إليه عمال الأمويين والعباسيين من بطش وتعذيب ونفي وقتل ضد معارضيتهم بصفة عامة ولم يستثنوا من هذه السياسية جماعة القعدة أو جماعة المسلمين الإباضية^(١). وكذلك السياسات الحالية بمنهجها البطش والتعذيب للجماعات الإخوان المسلمين أدى ذلك إلى قيام جماعة التكفير والهجرة وغيرها من الفرق.

إباضية المغرب^(٢):

انتشر المذهب الإباضي في المغرب على يد الدعاة المنتسبين إلى مدرسة أبي عبيدة مسلم بن كريمة التميمي الذي تبوأ زعامة الحركة - المذهب الإباضي - بعد خروجه من سجن الحجاج عام ٩٥ هـ أي بعد وفاة جابر بن زيد بعامين^(٣). وأنشأ مدرسة سرية^(٤). في سراديب أرضية لتعليم الدعاة وتدريبهم ومن هذه المدارس السرية تخرج عدد كبير من الدعاة عرفوا في التاريخ الإباضي باسم حملة العلم وأرسل أبو عبيدة إلى المغرب الداعية لمذهب الإباضية سلمه بن سعد الحضرمي بعد عام ٩٥ هـ وأصطحب عكرمة موسى ابن عباس رضي الله عنه، واستقر في جبل نفوسة في منطقة طرابلس

(١) الإباضية في الخليج العربي: د. نايف عبد السهيل ص ١٤٠-١٤٥ باختصار وتصرف..

(٢) للنظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية ص ١٥ - ٢٧، الخوارج ص ١٧٧ والعقود الفضية ص ٢٣٧ - ٢٥١ باختصار وتصرف.

(٣) نشأة الحركة الإباضية ص ٨٥ - تاريخ الخوارج ص ١٧٨.

(٤) يجب أن ننوه إلى خطورة إنشاء هذه السراديب والمدارس السرية البعيدة والمناوئة عن حكم الدولة وعن أعين العلماء المخلصين الجادين مما أذاق الدولة الإسلامية ويلات كثيرة وحروب طاحنة.

وأخذ يدعو لمذهبه بين قبائل هواره البربرية التي كانت تسكن في تلك المنطقة وفي عام ١٣٥هـ اتجهت صوب البصرة أو منظمة علمية أختير رجالها من قبائل ومناطق مختلفة حتى يسهل عليهم، بعد عودتهم الدعوة إلى مناطقهم وبين قبائلهم وهم :

١- أبو درار إسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس.

٢- عبد الرحمن بن رستم القيروان.

٣- عاصم السدراتي من سدرات غربي ادراش.

٤- أبو درار القبلي النغزاوي من نفراوه جنوب تونس.

وانضم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافري وهو عربي من اليمن. وقد دُعي هؤلاء في المصادر الإباضية حملة العلم إلى المغرب ومكثوا في البصرة خمس سنوات يأخذون العلم ومبادئ الدعوة في المدرسة السرية التي أقامها أبو عبيدة التميمي. ثم عادوا ونشطوا في أماكن استقرارهم لتحقيق أهدافهم وقاموا بتأسيس المدارس السرية على غرار مدرسة البصرة وتخرج على أيديهم عدد من الدعاة المغاربة وأعلنوا الظهور عام ١٤٠هـ وبايعوا أبا الخطاب عبد الأعلى المعافري إماماً عليهم وتمكن الإباضية بقيادة أبي الخطاب من الاستيلاء على طرابلس وجزيرة جربة وبلاد المغرب الأدنى والقيروان وغيرها وأستمر صراع الإباضية مع ولاة العباسيين طيلة سنوات وانتهى الصراع بمقتل أبي الخطاب عام ١٤٤هـ.

وعاد الاباضيون يمارسون نشاطهم سرّاً تارة وعلناً تارة أخرى حتى تمكنوا في النهاية من تأسيس الدولة الرستمية الإباضية في المغرب الأوسط في أوائل العقد السابع من القرن الثاني الهجري على يد رجل من حملة العلم

وهو عبدالرحمن بن رستم عام ١٦٢هـ واتخذوا تاهرت عاصمة للدولة الجديدة وقد استمرت هذه الدولة حتى آخر القرن الثالث الهجري عام ٢٩٧هـ حينما انهارت أمام جحافل الفاطميين الإسماعليين.

ونتيجة لهذه الهزائم المتكررة أدرك الإباضيون أن من الصعب عليهم أن ينظموا أنفسهم من جديد ويؤسسوا دولة أخرى خاصة بهم تخلف الدولة الرستمية ومع ذلك صمم علماءهم وأهل الرأي فيهم على انتهاج أسلوب يحفظ لهم مذهبهم ويكرس وحدة جماعتهم فوجدوا أن أفضل الطرق لبلوغ هذا الهدف هو العودة إلى طور الكتمان والدعوة سرًا لمذهبهم على منوال أئمتهم الأوائل. فأقاموا المجالس والمدارس السرية على غرار ما فعله أسلافهم القدامى في البصرة وفي المغرب في القرنين الأول والثاني الهجريين ولم يقتصر عمل المجالس على التعليم وإلقاء الخطب بل تعدتها إلى تأليف ونسخ الكتب الخاصة بالعقيدة الإباضية وكانوا يحفظون كتبهم في أماكن سرية خوفًا عليها من الأعداء الذين كانوا يتربصون بهم وبعقيدتهم سوءًا.

ومن أوائل الذين اهتموا بإقامة المجالس وحلقات الدرس السرية في المغرب بعد سقوط الدولة الرستمية أبو الربيع سليمان بن رزقون.

أما مؤسس نظام الحلقة والعزابة عند الإباضية في شمال أفريقيا هو أبو عبد الله محمد بن بكر. وكلمة عزابة مشتقة من العزوب: أي العزلة والانفراد والابتعاد ومرت بعدة مراحل تطور خلالها مفهوم العزابة عند الإباضية ففي القرن الثاني للهجرة:

١- بدأ بنظام خاص للطلبة ألزمهم فيه بالحضور إلى الدرس في أوقات محددة وبتناول الطعام بشكل جماعي في وقت محدد أيضًا ومنع الطلبة من

الزواج لانقطاع التلاميذ للتحصيل والمعرفة والمحافظة على المذهب الإباضي ونشره وتمكنه من نفوس أتباعه، ومن الأمور المبتدعة إجبار أهل الحلقة بالنوم وقت الضحى والصلاة فرادى حتى لا يفاجأوا بالعدو فيقتلهم جميعاً.

٢- وفي القرن الخامس الهجري وضع نظام متكامل دقيق للحلقة وسمي بنظام العزابة^(١). ولا يزال مستعملاً في منطقة ميزاب في الجزائر بينما اندثر في المناطق الإباضية الأخرى مثل جربة وجبل نفوسة.

فنظام العزابة عند الإباضيين يقصد به:

- الانقطاع والبعد عن ملذات الحياة الدنيا وزخرفها.
- الانصراف لخدمة أتباع المذهب الإباضي دون أجر (مقابل).
- تطلق هيئة العزابة أو مجلس العزابة على مجموعة الأشخاص يتراوح عددها بين إثني عشر شخصاً وأربعة وعشرين شخصاً ويفترض فيهم أن يكونوا مشهورين بالعلم الغزير والورع والتقوى.
- هذه الهيئة تمثل الإمام في مرحلة الكتمان وتقوم بجميع مهامه وإذا تعرض الإباضية لعدوان فإن مجلس العزابة يقوم مقام إمام الدفاع حيث يتولى قيادة الإباضيين في الجهاد ضد أعدائهم^(٢).

(١) لا بد من الإشارة إلى خطورة مثل هذه الأنظمة السرية والمدارس المستقلة التي ترسم منهاج حياة الإنسان بالكامل وتمنع عنه أشياء وتجبره على فعل أشياء مخالفة بذلك كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم مما أدى إلى تفرقة الأمة بلباحتها الخروج على الإمام حتى أمكن ذلك وسفك دماء المسلمين بعضهم لبعض، فلو كانت هذه الأنظمة صحيحة وعلى حق لوجدت من يساندها من أهل الحق ولكن سريتها دليل على خطورتها ومخالفتها لما في الدين الصحيح.

(٢) النظم الاجتماعية والتربوية، ص ٢٧.

٣- وفي العصر الحالي تميز الإباضية بالمحافظة على وحدة جماعتهم من الانحلال والذوبان في المجتمعات الأخرى وفي نشر اللغة العربية ونشر الإسلام في أنحاء أفريقيا لما يتميز به نظام العزابة من الرقابة على سلوك الجماعة والتوجيه والمحاسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويستند إلى مبدأ الولاية والبراءة للأفراد والجماعات فمن ارتكب معصية تبرئ منه وعزل عن المجتمع إلى أن يتوب فإن تاب تولاه أفراد المجتمع وقد أحدث هذا النظام إنضباطاً في السلوك والمحافظة على قيم الدين وواجباته والمحافظة على الأخلاق والآداب^(١) ويمكن تلخيص إيجابيات نظام العزابة بالتالي:

١- حفظ وحدة الجماعة الإباضية.

٢- نشر اللغة العربية بين بعض قبائل البربر بإشتراطهم حفظ القرآن الكريم.

٣- نشر الإسلام في جنوب الصحراء الإفريقية، والمناطق النائية مثل بلاد الجريد والصحراء الجزائرية.

٤- ساهم نظام العزابة بفتح فرص التعليم لأبناء الفقراء من أتباع المذهب الإباضي وتلقي العلم والمأوى والأكل دون أجر وبذلك حققوا مجانية التعليم في مناطقهم منذ القرن الخامس الهجري.

٥- قام شيوخ الإباضية بجهد كبير في تأليف الكتب الإسلامية حسب المذهب الإباضي، أما سلبيات هذا النظام^(٢).

(١) دراسة في الفرق: محمد جلي ص، ٩١.

(٢) راجع للمعة المرضية من أشعة الإباضية: نور الدين عبدالله ذكر في الكتيب أسماء

الكتب ومؤلفاتها في المذهب الإباضي.

- أن العزابة قد استعملوا نظامًا قاسيًا مرهقًا في شئون التربية والتعليم ولم يتركوا وقتًا كافيًا لراحة التلاميذ وأنشطتهم اللامنهجية.
- تحريم الزواج سابقًا أما الآن فإن هذا المنع لم يعد معمولًا به.
- عزل أتباع المذهب الإباضي عن غيرهم من أصحاب المذاهب الإسلامية بدعوى السرية والمحافظة على تراثهم وعدم كشف أسرارهم لمخالفهم خوفًا من تعرضهم للأذى والعدوان وقد أبطل المشايخ المتأخرين هذه العادة.

أثر الإباضية على الحياة الاجتماعية:

- أ- يرون دار مخالفينهم دار توحيد ولكن دار السلطان دار بغي إذا كان متمرّدًا على الله في أوامره ونواهيه، ورآه المسلمون (الإباضية) باغيًا.
- ب- يجيزون الصلاة خلف أئمة غير أئمتهم من المذاهب الأخرى إذا لم يفعل ما يفسد الصلاة بالطبع.
- ج- لا يرون فرقًا بين الإباضية وغيرهم في المواريث المنصوص عليها في الكتاب والسنة إلا ما قيل في ميراث الجد مع الأخوة وميراث ذوي الأرحام) وهو خلاف فقهي عادي.

مفهوم الولاية والبراءة عند الإباضية:

- فالولاية هي الود بالجنان والثناء باللسان إلى الحب والإخلاص والأخوة الصادقة التي يكنها المسلم لأخيه المسلم في الله لا غير.
- والبراءة هي هجرة من جاهر بالبغي والعدوان، ومن ارتكب الكبائر جهراً حتى يتوب، فهي تنطبق على الكافر والإنسان العاصي الذي خرج عن جادة الإسلام.

وقد انطلق الفكر الإباضي في هذين المبدئين من منطلق أن الدين هو أقوى أنواع الرقابات التهذيبية في المجتمع فالولاية توجب على المسلمين الحب في الله والبغض في الله والعطاء لله والمنع لله حتى يكتمل الإيمان.

والبراءة من الفواحش هي وسيلة الإسلام في علاج سلوك المنحرفين اجتماعيًا لا يشهروا الفواحش ولا يقلدهم الآخرون.

والسلوك عند الإباضية فهم يرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب في الحدود التي بينها القرآن الكريم والسنة.

والولاية والبراءة لا تلزم إلا باليقين كالمعرفة الشخصية أو شهادة العدلين ولا تبطل إلا باليقين.

ويرون أن جميع المسلمين يتساوون في الحقوق والواجبات باستثناء شيء واحد وهو الدعاء بخير الجنة وما يتعلق به^(١) فإنه حق خاص للمتولي أي المسلم الموفي بدينه الذي يستحق الولاية بسبب الطاعة وعندما تكون الأجهزة الحاكمة جائزة غير متمسكة بأحكام الشريعة يجوز للمسلمين (الإباضية) البقاء تحت حكمها أو الخروج عليها وإذا بقوا تحت حكمها فإنه تجب عليهم الطاعة في غير معصية الله، وإذا كانت تنفذ أحكامها على مقتضى مذهب مخالف لهم فإن أحكامهم نافذة عليهم ما دامت مطابقة للإسلام.

وبالنسبة للزواج عند الإباضية فهم يتبعون تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، ويجوزوا مناكحة مخالفيهم من بقية مذاهب الإسلام اعترافاً منهم بأن الخلاف في المذاهب لا يفرق بين المسلم وأخيه.

(١) وهذا ليس من الحقوق والواجبات عند المسلمين.

والمرأة في المجتمع الإباضي لها مكانه مميزة في إعطاء المرأة حقوقها كاملة نظير التزامها بواجباتها التي حددها ووضحها دين الإسلام فقد امتلأ تاريخ عمان بوصايا الأئمة لعمالهم تحثهم على إتباع القرآن والسنة والعناية بالفساد والنظر في أمورهن والذود عنهن.

أثر الإباضية على الحياة الاقتصادية:

عرف الإباضية أهمية ربط الناحيتين المالية والعسكرية منذ البدايات الأولى للتأسيس لأن موارد بيت المال كانت تستخدم لمساعدة الدعاة والثوار الإباضية وكافة المحتاجين فهم لذا فقد فرضت عليهم ضريبة بحسب ثراء المكلف ودخله والاعتماد على التبرعات السخية التي كان يدفعها الأثرياء وازدهرت التجارة في عمان نتيجة لموقعها المميز بالإضافة إلى صلاحية أراضيها للزراعة فكان العمانيون يتاجرون بسلع كثيرة كالتوابل والعاج والعنبر والحريير الصيني والأحجار الكريمة وغيرها من البضائع.

وقد ساعد ازدهار هذه الحركة التجارية بتكوين علاقات بين إباضية عمان والمغرب ومصر واليمن وتدعيم المجالات السياسية والمذهبية والمادية والثقافية فضلاً عن نشر الإسلام عن طريق التجار حتى وصل الصين ولهذا عبر حركة الملاحة في المحيط الهندي.

فرق الإباضية:

ينضوي تحت المذهب الإباضي في المغرب ست فرق هي:

- ١- النكارية
- ٢- النفاثية
- ٣- الخلفية
- ٤- الحسينية أو العمرية
- ٥- السكاكية
- ٦- الفرثية

وجميعها ماتت بموت أصحابها كما تذكر فرق الإباضية.

١ - النكارية:

وتسمى النكائية، ظهرت في ظل الدولة الرستمية الإباضية عام ١٧١هـ، سمو بالنكارية لأنهم أنكروا إمامة الإمام عبد الوهاب بن رستم ولهم شروط في الإمامة وأقوال عقدية مخالفة للإباضية منها: القول بأن الله لم يأمر بالنوافل وجواز شرب الخمر تقية.

وأنتهت بوفاة قائليها وهو أبو قدامه يزيد بن قندين^(١).

٢ - النفاثية:

مؤسسة هذه الفرقة فرحان نصر النفوس المعروف بنفاث وهو من قرية نفاثة القرية من جبل نفوسه بليبيا. ومن أقواله إنكار الخطبة في صلاة الجمعة وقال أنها بدعه وأن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ لأب والنفاثية ماتت بموت صاحبها.

٣ - الخلفية:

زعيم هذه الفرقة هو خلف بن السمع بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافر خرج على عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم واستقل بجبل نفوسه وأفلح ابن عبد الوهاب من القضاء على الخلفية.

٤ - الحسينة أو العمرية:

هم أتباع أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي ولا يعرف بالتحديد

(١) في مذاهب الإسلاميين د. عامر النجار، أما د. صابر طعيمة يقول باستمرارها حتى النولة العبيدية.

تاريخ مولده أو وفاته وامتزجت هذه الفرقة بفرقة اسمها العمرية نسبة إلى رجل اسمه عيسى بن عمير.

ولهم مقالات تقترب من الإباضية تارة وتقترب من المعتزلة تارة ومقالات تبتعد عن جميع الأطراف^(١).

٥ - السكاكية:

نسبة إلى عبدالله السكاك من منطقة لواتة قنطرار كان يعمل بصياغة الذهب واستطاع بماله الوفير أن يضم إليه نفر من ضعاف النفوس اعتنقوا مقالاته ومبادئه التي أخرجتهم عن الإباضية فأنكروا السنة والإجماع والقياس وزعم أن صلاة الجماعة بدعة والأذان بدعة وهذه آراء شاذة حكمت عليه الإباضية بالشرك والنفاق وانتهت بموت صاحبها عبدالله السكاك.

٦ - الفرثية:

أتباع رجل أباضي من ورجلان بجنوب الجزائر اسمه (أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح) ومن أقواله نجاسة الفرث^(٢) وما طبخ به من طعام وغيرها من الاجتهادات الفرعية التي خالف فيها جمهور الإباضية.

الفرق الست وعلاقتها بالإباضية:

هذه الفرق الست التي تعرضنا لها بإيجاز وعرفنا بها على ضوء ما هي عليه في كتب الإباضية وذكرنا حكم الإباضية فيهم وانتهينا إلى أن هذه الفرق إفرازات فكرية وسياسية وشخصية اغتتم أصحابها ومؤسسوها جملة عوامل مرت بالتاريخ الإسلامي في المغرب حيث أقيمت الدولة الإباضية الرستميه

(١) أنظر الإباضية: عامر الجراح ص ١٠٣.

(٢) الفرث: السرجين ما دام في الكرش.

التي يعتقد أن معظم حكامها إتسموا بالعدل والتواضع والتزام روح الإسلام والوصول إلى الحكم بطريقة الاختيار العام غالباً ومع ذلك لا نجد لدى المؤرخين الإباضيين إجابة واضحة ومحددة عن سر ذلك الانشقاق المذهبي والطرائقي الذي حدث في مجتمع الإباضية بالرغم من وحدة نشأة التفكير والمعتقد خاصة أنه قد تطور ذلك الانشقاق حتى أنف المؤرخون الإباضيون أن يعتبروا بعض هذه الفرق منتبياً للمذهب الإباضي أو من أمة الإسلام ومما يلفت النظر أيضاً أن هذه الفرق الست والتي عاب بعض المؤرخين الإباضيين على كتاب المقالات من أمثال الأشعري والبغدادى والاسفرايينى والشهرستاني وغيرهم لعدم ذكرها ضمن الفرق الإباضية قد نشأت في المغرب الإسلامي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب^(١).

المطلب الثاني: مقاليد الإباضية:

تلتقي الإباضية مع فرق إسلامية أخرى في كثير من المعتقدات بيد أن معظم عقائد الإباضية تشبه إلى حد كبير عقائد المعتزلة فهم يذهبون مذهب المعتزلة في الأسماء والصفات سواء النفي أو التأويل فصفات الله تعالى عندهم - هي ذاته ولا تدل على معانٍ زائدة كما أولوا اليد بالنعمة والتأييد والوجه بالذات والعين بالرعاية والعلم وأنكروا الاستواء والنزول والفوقية بالرتبة والرؤية يوم القيامة وقالوا بخلق القرآن، وأولو الميزان والصراط بمعاني تنافي معتقد السلف كما سنرى إن شاء الله في هذا المطلب.

وقد لخص اعتقاد الإباضية أحد علماءهم محمد يوسف أطفيش في كتابه

(١) الإباضية د. صابر طعيمة.

إزالة الاعتراض عن محقي آل أباض فقال (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله).

وأما بعد فهذا اعتقاد الإباضية الوهبية أهل الحق في الأصول والفروع أما اعتقادهم في الأصول فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب عبده ورسوله وأن ما جاء به حق وأن الله عز وجل موجود لا يشبه شيء ولا يشبه شيئاً عرضاً^(١) ولا جسمًا^(٢) ولا جوهر فردًا^(٣) عند مثبت الجواهر الفرد.. ولا يتصف بالتجزء ولا بالجهات^(٤).. وأن صفاته ذاتية لا خارجه حالة فيه زائدة وصفاته لا أول لها ولا آخر وهي كلها شيء واحد وهي ذاتية والذات الواجبة الوجود لا يتجزأ.

(١) العرض: هو ما لا يبقى وجوده وهو المعنى القائم بالجواهر كالألوان والطعوم والروائح فإذا قالوا أن الله منزّه عن الأعراض لم يكن في ظاهر العبارة ما ينكر لأن الناس يفهمون أنه منزّه عن الاستمالة والفساد كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض لكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك من الصفات التي يسمونها هم أعراضاً.

(٢) الجسم المتألف، فإذا تألف جوهران كان جسمًا إذا كل واحد مؤتلف مع الثاني وإذا قالوا (ليس بحسم) أو هموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات ولا مثل أبدان الخلق وهذا المعنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك إنه لا يُرى ولا يتكلم بنفسه ولا يقوم به صفة ولا هو مبين للخلق وأمثال ذلك.

(٣) الجوهر: ما يقبل العرض، أو ما يشغل الخير أو المتميز.

(٤) الجهات: إذا قالوا إن الله منزّه عن الحدود والأحياز والجهات أو هموا الناس أن مقصودهم بذلك أن لا تحصره المخلوقات ولا تحوزه المصنوعات وهذا المعنى صحيح ومقصودهم أنه ليس مبين للخلق ولا منفصلاً عنه وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إنه.. ولم ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء..

وأن القرآن مخلوق وعلمه تعالى به قديم غير حادث وأن الله عز وجل لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة لا بالبصر ولا بالقلب لأن رؤيته ولو بالقلب توجب تحيزاً و جهات وحلول في مكان وزمان ولوناً وتركيباً.. وأما الميزان فعبارة عن كمية العمل وما يقابله من ثواب وعقاب فإن الأعمال أعراض لا أجسام والأعراض لا توزن...^(١).

ويقول صاحب حلقات المعهد الرياضي^(٢) في معرفة الله تبارك وتعالى أعلم أن معرفة الله عز وجل واجبة بالعقل قبل ورود الشرع فلما ورد الشرع زادها إيضاحاً وأعلى إيجابها ذلك لأنه يعلم أنه لم يخلق نفسه فلا بد لها من خالق مبين للمخلوقات كلها وكامل عن كل نقص ونفس الإنسان مدرسة تشتمل على معرفة الله عز وجل ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن صح عنه (من عرف نفسه عرف ربه)^(٣).

هذا عرض مجمل لعقائد الإباضية كما ورد في بعض كتبهم وسنفصل القول إن شاء الله في الصفحات القادمة.

قولهم في الصفات:

خلاصة ما يذهب إليه الإباضية في هذا المقام هو أنهم يرجعون صفات العلم والقدرة والإرادة.. إلخ تلك الصفات التي أثبتتها الله لنفسه والتي هي

(١) إزالة الاعتراض عن محقّي آل اباض: محمد يوسف أطفيش التراث القومي والثقافة

سلطنة عمان تراثا العدد ٢٩ سنة ١٩٨٢م من ص ٤-١.

(٢) طلاقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الاباضي: سالم بن حمود السيابي، سلطنة

عمان تراثا ص ٨٩-١١٦.

(٣) الحديث لم أجده عند تخريجي له والله أعلم.

صفات كمال ومن لم يتصف بها كان فيه من النقص والعيب ما لا يدرك إلا في الجمادات؛ أرجعوا تلك الصفات إلى الذات فقالوا: إنه عالم بذاته وقادر بذاته.. هكذا فجاء في كتاب قناطر الخيرات (وأعلم أنه لا يجوز أن يقال الله سبحانه علم بعلم... لأنه يوهم عليه الاستعانة بها فقال عن ذلك وإنما يقال علم نفسه وبذاته)^(١).

وذكر أطفيش في الصفات قوله (إن صفاته ذاتية لا خارجه حالة فيه ولا خارجه مقترنة ولا فيه معنى يقضيها فهو عالم بالذات لا بعلم زائد وقادر بالذات لا بقدرة زائدة)^(٢).

وجاء في تأويلهم للصفات قولهم (ووجه الله تعالى ذاته فالعين في حق الله عز وجل معروفة بأنها حفظه واليد مفهومه في حقه قدرته لما قدمنا من استقرار الفهم باستحالة صفة الإنسان أن تكون صفة للرحمن وهكذا بقیة لصفات كالقبضة والاستواء والمجيء والجد والمكر..)^(٣).

الرد:

موضوع الصفات الإلهية من أهم موضوعات العقيدة الصحيحة وذلك لعلاقته بتوحيد الله تعالى في ذاته وصفاته.

والأصل في هذا الباب أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا فيثبت لله ما أثبتته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه^(٤) فمن المستحيل وجود الذات بدون صفات وهكذا يستحيل خلو الذات الإلهية من صفاتها القائمة بها.

(١) قناطر الخيرات للحيطالي ص ٢٢٨.

(٢) إزالة الاعتراض أطفيش ص ٢.

(٣) ملاحظات المعهد الرياضي للسياي ص ٩٩-١٠٠.

(٤) التتميرية ص ٧.

والعقل يدل على علم الرب تبارك وتعالى من وجوه:

- ١- أن العلم والجهل لفظان متقابلان يلزم من انتفاء أحدهما ثبوت الآخر فلو لم يكن عالماً لكان جاهلاً وهو نقص يستحيل أن يكون صفة لله.
- ٢- أن العلم صفة كمال وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه - وهو ما كان كمالاً للوجود غير مستلزم للعدم بوجه - فالواجب القديم أولى به.

٣- أن بعض المخلوقات موصوفة بالعلم، وهذا دليل على ثبوته للرب تبارك وتعالى لأنه من المحال أن يكون واهب الكمال فاقداً له ولأن ثبوته للمخلوق وحده يستلزم أن يكون أكمل من الخالق وهو محال.

٤- أن المخلوقات فيها من الإبداع والإتقان ما يستلزم ثبوت وصف العلم لفاعلها لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم^(١) وهكذا يقال في جميع الصفات.

أما تأويلهم لصفة الوجه واليد والاستواء ... إلخ لأنهم يرون أنها لم تثبت عندهم عقلاً وأن إثباتها يناقض الدليل الدال على حدوث العالم والدليل يحب طرده.

يؤلون قوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] يؤلون الوجه بالذات أي وجوده سبحانه وتعالى وسبب التأويل كما ذكرنا أن ظاهر الآية يتعارض مع الدليل العقلي

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٢٤، ٢٥ - الرد على المنطقيين ص ١٥٠ - الرسالة

التدميرية ٦٢-٦٣.

وهذا تأويل فاسد وإخراج النص عن ظاهره وحمل النصوص على غير محاملها الصحيحة وتفسيرها بغير ما يصح منها من تفسير.

وقد وصف ابن القيم التأويل بأنه شر من التعطيل لأنه يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص وإساءة الظن بها^(١).

ويرجع خطأ المتكلمين ومنهم الإباضية في دعوى تعارض العقل مع السمع الموجب لاعتباره ظاهراً مؤولاً يرجع خطؤه في ذلك إلى أحد أمرين:

الأول: اعتبارهم لما يقيمونه من الأدلة العقلية - معارضين به المعاني الصحيحة للآيات - اعتبارهم إياها أدلة قطعية، بينما هي في الحقيقة ليست كذلك - فإنه إذا وزن بالميزان الصحيح كما يقول شيخ الإسلام (وجد ما يعارض الكتاب والسنة من المجهولات لا من المعقولات).

الثاني: فهمهم من الآيات معاني باطلة يعتبرونها هي الظواهر المستفادة من تلك الآيات ومن ثم يقيمون الدليل العقلي على استحالتها ومن ثم يؤولونها بمعان أخرى^(٢).

ويرى علماء السلف أن هذه المعاني الباطلة في حق الله تعالى لا يمكن أن تكون هي الظواهر المرادة من آيات الصفات، فظواهر القرآن يستحيل أن تكون كفراً بل ظواهر آياته هي معانيها التي تدل عليها دلالة واضحة على نحو ما يليق بذات الله.

الرؤية:

الإباضية يذهبون إلى استحالة رؤية الله عز وجل تنزيهاً لله بزعمهم

(١) مختصر الصواعق السرسلة ص ٢٣.

(٢) التكميرية ص ١٤٩.

واستدلوا بقوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

فقد جاء في كتاب إزالة الاعتراض عن عالمهم القطب كما يزعمون (إن الله جل وعلا لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة لا بالبصر ولا بالقلب لأن رؤيته ولو بالقلب توجب له تحيزاً وجهات وحلولاً في مكان وزمان ولوناً وتركيباً وعجزاً عما بعد أو ضعفاً وحاجة وغير ذلك)^(١) وقالوا (لا يخفى أن القول بالرؤية يهدم التوحيد من أساسه ويقضي عليه من أصله فإن الرؤية توجب الحلول والله منزّه عنه وتثبت التحيز وتقرر الظرفية وتحقق التلوين وتقضي بالجهة ونحو ذلك فهذه كلها قوادح في صحة الألوهية يتعالى الله عز وجل عنها).

وقولهم (العلم بأن الله منزّه عن الرؤية والإدراك بالأبصار إذ هو تعالى مقدس عن الجهات والأقطار لقوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فهذه مدحه امتدحه تعالى بها عن الإدراك بالبصر كما امتدح بقوله تعالى ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وحلول الآفة به من السنة أو النوم^(٢).

الرد على نفي الرؤية:

يرجع نفي الإباضية للرؤية لتعارضها عقلاً لأن الرؤية يشترط فيها أن يكون للمرئي مع الرائي حكم وهو أن يكون مقابلاً، أو حالاً في المقابل،

(١) إزالة الاعتراض ص ٣.

(٢) الطلقات ص ١٠٧.

أو في حكم المقابل، وكل ذلك محال، لأنه يستلزم التجسيم المقضي إلى محالات كثيرة كالحدوث والحاجة والنقص^(١).

وهذا غير مسلم، لأنه إلزام بلفظ بدعي لا يحل نفيه ولا إثباته ولكن يستفصل عن معناه، فإن كان المراد به المركب من المادة والصورة، أو من الجواهر الفردة أو ما يقبل التفريق والانفصال، فإن الله منزّه عن هذا كله وإثبات الرؤية لا يستلزم شيئاً من هذه المعاني الباطلة.

وإن كان مرادهم بالجسم ما يشار إليه أو ما تقوم به الصفات أو القائم بنفسه، فهذه المعاني ثابتة لله على الوجه اللائق والرؤية مستلزمة لها ولا يضر المثبت التشنيع عليه بالجسم.

والواجب في التنزيه الاعتماد على الضوابط الشرعية كنفى النقص ونفي المثل ونفي ما يضاد صفات الكمال لأن نفي التجسيم ضابط بدعي وغير مطرد فالذي يرى أكمل مما لا يرى فالرؤية صفة كمال وعدم الرؤيا نقص تنزه الله تعالى عنها^(٢).

قولهم في خلق القرآن؛

هذه المسألة من المسائل التي أخذت من الوقت والجهد وشدة الجدل بين أرباب المذاهب الكلامية أكثر من ينبغي لها فقد سفكت بسببها دماء كثيرة وجرت من أجلها محن عظيمة وبلايا متتالية على العلماء في القرن الثاني والثالث للهجرة.

والإباضية كالمعتزلة قالوا بخلق القرآن واعتقدوه حقاً لا يمارى فيه ولهم

(١) تناظر الخيرات ص ٢٢٧.

(٢) التتمية بتصرف ص ٢٥.

شبه واهية وتأويلات بعيدة فيذكر أطفيش (أن القرآن مخلوق غير حادث)^(١).

ويقول الجيطالي (أن الله تعالى متكلم ليس بأخرس وكلامه على وجهين أحدهما الكلام الذي هو صفة له تدل على نفي الخرس عنه فذلك صفة له في ذاته لم يزل موصوفاً به).

والثاني كلامه الذي هو القرآن وسائر كتبه المنزلة فذلك فعل من أفعاله لقوله تعالى ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ولا يسمع الإنسان كلامه إلا بإذنيه وهذا المسموع محدث..)^(٢).

ويقول الحارثي الإباضي في إثبات رأيهم في القول بخلق القرآن أيضاً (فعند المحققين من الإباضية أنه مخلوق إذا لا تخلو الأشياء إما أن تكون خالقاً أو مخلوقاً وهذا القرآن الذي بأيدينا نقرؤه مخلوق لا خالق، لأنه منزل ومثلوه وهو قول المعتزلة)^(٣).

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن بعض العلماء من الإباضية قد خرج عن القول بخلق القرآن فصاحب كتاب الأديان وهو أباضي يرد على المعتزلة ويبطل قولهم بخلقه فيقول: فإن عارض معارض وأحتج بقوله تعالى ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [السجدة: ٤] فكل شيء بين السماء والأرض فهو مخلوق قلنا لهم وقد قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا

(١) إزالة الاعراض ص ٢.

(٢) قناطر الخيرات ص ٢٣٠.

(٣) العقود الفضية للحارثي ص ٢٨٧.

بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥] فالحق الذي خلق به السموات والأرض وما بينهما هو كلامه وهو خارج عن الأشياء^(١).

ومن الإباضية القائلين بأن القرآن غير مخلوق أيضاً أبو النصر العماني في كتابه الدعائم أنكر القول بخلق القرآن إنكاراً شديداً وله قصيدة طويلة يرد بها على القائلين بخلق القرآن بلغت خمس وسبعون بيتاً أبطل كل ما اجتمع به القائلون بخلق القرآن^(٢).

وأرى أ هذا القول نصه خلاف المشهور من مذهبهم.

الرد:

احتج القائلين بخلق القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] أي خلقناه قرآنًا عربيًا فهذا احتجاج باطل إذ أن جعل التي بمعنى خلق تتعدى إلى مفعول واحد وهنا تعدت إلى مفعولين فهي ليست بمعنى خلق^(٣).

وينقص احتجاجهم هذا قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَنَا أَلْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَنُكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] وكذلك قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]

فهل يصح جعل في هاتين الآيتين وأمثالهما بمعنى خلق، هذا لا يمكن

(١) الخوارج للعواجي ص ٢٩٠-٢٩١.

(٢) كتاب الدعائم ص ٣١-٣٥.

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ١١٢-١١٣.

فلو كانت جعل تأتي بمعنى خلق دائماً على ما قالوه لكان المعنى واضحاً وهو أن قريشاً خلقت الملائكة وكذلك الآية الأخرى ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١] تعالى الله وتقدس!!

أما الاحتجاج على خلقه بإنزاله فإن هذا لا دلالة لهم فيه وذلك أن الإنزال أو النزول لا يعرف من إطلاقه على الحقيقة إلا أنه هبوط من مكان عال إلى مكان أسفل منه وقد أثبت الله تعالى أن القرآن منزل منه تعالى بمعنى أنه تكلم به إلى نبيه عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل عليه السلام الذي نزل به إلى قلب سيد المرسلين فمعنى النزول والإنزال في الحقيقة كما يقول العلامة ابن القيم (مجيء الشيء أو الإيتان به من علو إلى أسفل هذا المفهوم منه لغة وشرعاً)^(١). ولا يلزم منه خلق المنزل فقد أسند النزول إلى الله عز وجل وهو قديم كما وصفه به رسوله ﷺ أنه ينزل إلى السماء الدنيا.

والقرآن الكريم كلام الله تعالى وصفة الكلام من صفات كمال الإلهية فقد بين سبحانه وتعالى أن العجل الذي عبده بنو إسرائيل لا يستحق الألوهية لأنه لا يتكلم وعدم الكلام صفة نقص تقدح في الألوهية قال تعالى ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]

رايهم في بعض الأمور السمعية :

الشفاعة :

يحدد الإباضية الشفاعة بالتائبين الطائعين وينكرونها لأهل المعاصي من أمة محمد ﷺ كما وردت في الكتاب والسنة.

(١) مختصر الصواعق ص ٢٨٧.

يقول الجبيطالي الإباضي (والشفاعة إنما هي للمسلمين الذين ماتوا على الطاعة لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] يعني بالعمل الصالح في أمثالها وقال تعالى مخبراً عن أهل النار ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١] في أفعالها وكان جابر بن زيد رحمه الله يحلف ما لأهل الكبائر من شفاعة وكان يقول والله ما شفاعة الملائكة والنبیین والمؤمنين إلا للتائبين وكان يقول ما نالت دعوة مؤمن منافقاً قط. والشفاعة ليست لمن استوجب العقاب فيصير إلى الثواب لكن الشفاعة للمؤمنين زيادة لهم في الثواب وتشريف في المنازل^(١).

وقال أطفيش (الشفاعة العامة لأهل المحشر والشفاعة لمن مات تائباً مقصراً في العمل والخروج عن المعاصي إلا أن تاب نصوحاً والشفاعة للسعداء الذين فوق ذلك بزيادة الدرجات زيادة قد قضى الله بها على يده والشفاعة بادخال الجنة بغير حساب ويختص بهما وبالأولى ﷺ والعلماء والشهداء والفقراء والملائكة شافعات.

قال جابر بن زيد عن رسول الله ﷺ ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي ثم حلف جابر عند ذلك ما لأهل الكبائر شفاعة لأن الله أوعد لأهل الكبائر النار في كتابه^(٢).

الرد:

أن مزاعمهم حول الشفاعة غير مسلم بها لأمر ثلاث:

١- أن الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة بنصوص كثيرة بلغت حد التواتر

(١) قناطر الخيرات ص ٤٨.

(٢) إزالة الاعتراض ص ٥.

ودعوى أن نصوص الشفاعة وردت على خلاف نصوص القرآن الدالة على نفي الشفاعة دعوى غير صحيحة لأن الشفاعة نوعان شفاعة منفية وهي التي نفاها القرآن وهي الشفاعة الشركية والشفاعة في أهل الشرك، وشفاعة مثبتة دلت عليها النصوص المتواترة بشروط ثلاث:

١- إذن الله في الشفاعة

٢- رضاه عن الشافع

٣- رضاه عن المشفوع له.

قال تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وأهل الرضا هم أهل التوحيد ولو كانوا أهل كبائر^(١).

والأحاديث الثابتة ظاهرة الدلالة على خروج أصحاب الكبائر من النار ودعوى أن المراد بها خروجهم من حكم دخول النار لا خروجهم من نفس النار أو أن المراد به التباعد لا التأكيد دعوى مخالفة للمتبادر من النص وهي من التأويل الفاسد القائم على صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح بلا حجة صحيحة أو صرفة إلى المعنى الذي لا يحتمله اللفظ أصلاً^(٢).

ودعوى أن الخبر معارض لنصوص الوعيدية بالخلود دعوى غير مسلمة لأنه مخصص لها لا معارض وكذلك ليس معارضاً بنصوص نفي الشفاعة لأنها متعلقة بالشفاعة المنفية دون المثبتة^(٣).

(١) فتح القدير الشوكاني ج ٣/ ٤٠٦.

(٢) مختصر الصواعق ص ١٢-١٧.

(٣) الوعد الأخروي للسعدي ج ٢، ص ٥٧٧.

وأما حديث (ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ليس له أصل^(١) وحمل الحديث على التائب من الكبائر حمل غير مسلم لأن التائب ليس من أصحاب الكبائر.

٢- أن النصوص التي اعتمدوا عليها لا تدل على نفي الشفاعة في أهل الكبائر لأن أكثرها مسوق في شأن الكفار وقد نبه أهل العلم على هذا الانحراف المنهجي فقال الإمام البخاري (كان ابن عمر يراهم شرار خلق الله وقال أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)^(٢).

٣- أن ثبوت الشفاعة في أهل الكبائر لا يستلزم إلا حقاً لأنها ثبتت بمقتضى النصوص المتواترة ولازم الحق حق واللوازم التي ذكرها ليست لازمة البتة وذلك لوجوده:

أ- أنها لا تستلزم معارضة نصوص الشفاعة المنفية لأن المراد بها الشفاعة في أهل الشرك لأهل الكبائر.

ب- أنها لا تستلزم محبة من غضب الله عليه والرضا عنه لأن الفاسق ألملى وإن كان مبغضاً من جهة كبائره فهو محبوب من جهة إيمانه وتوحيده وهو الجانب المقتضي لحصول الشفاعة فيه.

ج- الشفاعة في أهل الكبائر لا تستلزم التجربة على الذنوب كما توهموا لأن صاحب الكبيرة يرجوا الشفاعة ولا يقطع بحصولها ابتداءً فهو دائرة بين رجاء المغفرة وخوف العقاب وهذا أكمل الوسائل في ربط المؤمن بربه مهما

(١) الشفاعة للوادعي ص ١٤-١٥.

(٢) صحيح البخاري كتاب استتابة المرتدين ج ٦، ٢٥٣٩.

جنت يداه وفي دفع آفتي الأمن من مكر الله واليأس من روحه الموجبتين للجرأة على المعاصي والاسترسال فيها.
ثم أن الشفاعة في أهل الكبائر غالبًا ما تكون بعد دخول النار والتلظى بحرها وسمومها وهذا كله من أعظم الصوارف عن الموبقات^(١).

الميزان:

أما الميزان فيعتقد الإباضية فيه أنه ليس ميزانًا له عمود وكفتان ولسان كما هو المشهور وإنما يثبتون وزن الله للنيات والأعمال بمعنى تمييزه بين الحسن منها والسيئ وأن الله يفصل بين الناس في أمورهم فقد ذكر أطفيش ما يدل على ذلك في قوله (أما الميزان فعبارة عن كمية العمل وما يقابله من ثواب أو عقاب.. فإن الأعمال أعراض لا أجسام والأعراض لا توزن ومن قواعدا تخطيئة من قال يجوز أن يرد العرض جسمًا والعكس)^(٢).

وقال الجبطلاي (ميزان الأعمال تميزها وتفضيلها ووزن النيات المعتقدة لها دليله والوزن يومئذ الحق فيثقل الحق يوم القيامة لصاحبه فينجو به كما تقل على نفسه في الدنيا فتحمله فيخف الباطل عند الوزن لصاحبه فيهلك كما خف على نفسه في الدنيا فارتكبه)^(٣).

الرد:

حجتهم في نفي الميزان الحسي لأن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن بخلاف الأجسام فإن هذا القول خاطئ سببه قياس قدرة الله تعالى بقدرة

(١) الوعد الأخروي د. السعدي ج ٢ ص ٥٨٠-٥٨٣ باختصار.

(٢) إزالة الاعتراض ص ٤.

(٣) قناطر الخيريات ص ٢٤٥-٢٤٦.

المخلوق الضعيف وقياس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا مع البون الشاسع بين الدارين.

فلا يستحيل على الله تعالى أن يزيد الأعمال وزناً ظاهراً يرى للعيان فقدرة الله تعالى لا تحد بحدود عقل الإنسان ولا مصطلحاته من عرض وجسم وغيرها.

الصراط:

وكما أنكر الإباضية الميزان أنكروا كذلك الصراط وقالوا أنه ليس بجسر على ظهر جهنم كما وصف في الأحاديث النبوية فقال الجبطلالي (أن الصراط هو طريق الإسلام ودليله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] وقوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].. وقال والذي عندي والله أعلم أن الصراط المذكور في القرآن على وجهين:

أحدهما: طريق الإسلام

الثاني: أنه الجسر الموضوع على متن جهنم المرتب عليه القناطر السبع التي هي مراصد ومجالس للعباد يسألوا عن السبع سؤالات وهذا مشهور في كتب أصحابنا^(١).

وقال أطفيش (وأما الصراط الأخروي وحدته وكلاسيه فعبارة عن كون الناقد بصيراً جلا وعلا بحيث لو أمكن القرار على حد السيف أو الشعرة لا مكر حفاء شيء يومئذ أو ترويعه زخرفته بشيء)^(٢).

(١) قناطر الخيرات للجبطلالي ص ٢٤٥.

(٢) أما: لسؤالات السبع فيقصنون بها ١- العلم، الإيمان، الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، التوبة.

الرد:

سبق الرد عليه بما سبق ذكره في الميزان والله أعلم

موقف الإباضية من الصعابة:

من الأمور المتفق عليها عند سائر الإباضية الترضي التام والولاء والاحترام للخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما، أما بالنسبة للخليفتين الراشدين الآخرين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقد هلك الإباضية فيها وذهبا مما برأهما الله عنه، فقد نقل عن عبدالله بن أباض مؤسس الإباضية وصفه لعثمان رضي الله عنه بالآتي (كان عثمان أول من منع مساجد الله أن يقص فيها كتاب الله ومما نقمنا عليه وفارقناه أن الله عز وجل قال ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] فكان خيار هذه الأمة قد طردهم ونفاهم ... وكان ممن نفى من أهل المدينة أباذر الغفاري ومسلم الجهني ومما نقمنا عليه أنه أمر أخاه الوليد بن عقبة على الناس فكان يلعب بالسحر ويصلي بالناس سكران فاسق في دين الله وإنما أمره من أجل قرابته ... وكان من عمل عثمان أنه يحكم بغير ما أنزل الله فقد خالف سبيل الله وسبيل صاحبيه...) (١).

فالإباضية الأولى تبرأ من عثمان وعلي رضي الله عنهما ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وأهل التحكيم ومن رضي به من غيرهم.

(١) نشأة الحركة الإباضية: خليفات ص ١٧٤ - ١٧٦ باختصار من رسالة عبدالله بن

أباض إلى عبدالملك بن مروان.

ثم يبين رأي الإباضية في عثمان ومعاوية قائلاً: (فإننا نشهد الله وملائكته إنا براء منهم وأعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا نعيش على ذلك ما عشنا ونموت ونبعث عليه إذا بعثنا نحاسب بذلك عند الله) (١).

وفي كتاب كشف الغمة لمؤلف أباضي من السب والشتم لعثمان ما لا يوصف ولم يكتف بالسب والشتم وإنما اختلف روايات عن بعض الصحابة يسبون فيها عثمان بزعمهم ويحكمون عليه بالكفر (٢).

ويوجد في كتاب الدليل لأهل العقول للورجلاني سب وشتم لعثمان ومدح وثناء لمن خذلوه حيث سماهم فرقة أهل الاستقامة وهم في الحقيقة بغاة مارقون لا استقامة لهم إلا على ذلك (٣).

ومن الجدير بالذكر أن علي يحي معمر المدافع القوي عن الإباضية يزعم أن الإباضية لا يكفرون أحداً من الصحابة وأنهم يترضون عن علي رضي الله عنه فهو ينقل عن كتاب وفاء الضمانة بأداء الأمانة مدحاً وثناءً لعلي (٤) - رضي الله عنه وأورد فصلاً طويلاً بين فيه اعتقاد الإباضية في الصحابة بأنهم يقدرونهم حق قدرهم ويترضون عنهم ويسكتون عما جرى بينهم ونقل عن أبي إسحاق أطفيش في رده على الأستاذ محمد بن عقيل العلوي أنه قال (أما ما زعمت من شتم أهل الاستقامة لأبي الحسن علي

(١) المرجع السابق.

(٢) فرق معاصرة تنسب للإسلام، دعواجي ص ١٢٤.

(٣) فرق معاصرة للدكتور العواجي ص ١٢٧ وأحاله إلى كتاب كشف الغمة ص ٤ والدليل لأهل العقول ص ٢٨.

(٤) فرق معاصرة تنسب للإسلام، د. العواجي نقلاً عن كتاب وفاء الضمانة ج ٣ ص ٢٢.

وأبنائه فمحض اختلاق^(١). (ولم يكن يوماً من الأصحاب شتم له أو طعن اللهم إلا من بعض الغلاة وهم أفذاذ لا يخلو منهم وسط ولا شعب)^(٢).

وأما صاحب العقود الفضية عنون لفصل خاتمه في فضل الصحابة رضي الله عنهم ومنزلتهم ذكر فيه ثناء الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز على الصحابة الكرام وأشار إلى أحاديث عن فضلهم ثم قال (في البراءة من العاصي - من الصحابة رضي الله عنهم - من هم كغيرهم بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم بريء من الثلاثة الذين خلفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وقصتهم مشهورة مجمع عليها... هذا هو المذهب الوسط الذي أعتمدته الإباضية عكس اعتقاد الخوارج الذين يحكمون بشرك مرتكب الكبيرة وعكس معتقد غيرهم الذين يعذرون العاصي منهم ويتولونهم... والصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم من أساء منهم ذمناه ومن أحسن منهم حمدناه وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ﷺ ومعاصرته لا غير بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات فمعاصينا أخف لأننا أعذر... وأفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ويقطع لهما بالجنة ولم يثبت عند علماء الإباضية أحاديث القطع بالجنة للعشرة المبشرين بالجنة وهي على كل حال أحادية رضي الله عن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعي التابعين إلى يوم الدين)^(٣).

(١) المرجع السابق ص ١٢٥.

(٢) الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٨٣-٢٨٩.

(٣) العقود الفضية من ٨٧-٩١.

الرد:

في كل ما تقدم مخالفة صريحة لقوله ﷺ «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أُنْزِلَ مُدٌّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفُهُ»^(١).

مما يقتضي عفة لسان المسلم عن أن يخوض في أعراض هؤلاء الصحابة على هذا النحو الشائن فضلاً عن مخالفتهم وتخطئهم فإن طهرت سيوفنا من دمائهم فالأولى أن نطهر ألسنتنا من القذح فيهم فالواجب علينا أن نحسن الظن بالصحابة وأن نعتبر ما جرى بينهم من فتن لأمر وحكم أرادها الله ونكل أمرهم فيها إلى الله سبحانه وتعالى ولا نقول فيهم إلا خيراً ونترحم عليهم ونترضى عنهم لأنهم سلفنا وخيارنا رضي الله عنهم وهي من صفات المؤمنين التي نص الله عليها في كتابه. قال الله تعالى ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨]، فالقرآن الكريم نزل في الصحابة وثبت ترضيه عن الصحابة وقوله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح: ٢٩]

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة رقم

الحديث ٦٦٥١، ج ٧/ ص ١٨٨.

الإمامة:

الإباضية تعتبر امتداداً للمحكمة الأولى فكراً وعملاً وهذا ما يثبتته الإباضية المعاصرون الذين يقولون بأن الإباضية يحجبهم مع الخوارج الآخرين انكسار الحكومة بين علي ومعاوية بل أنهم يرون الخروج لرفع الظلم ورد العدوان وإزالة الحاكم الظالم المفسد أمر مشروع وواجب وتلتقي الإباضية مع الخوارج فيما يلي:

١- إنكار التحكيم.

٢- أن الإمامة لا تختص بقريش

٣- عدم إقرار شرعية الحكم الأموي وقالوا إن دماء مخالفيهم حرام ودارهم دار توحيد وإسلام إلا معسكر السلطان فإنه دار بغى^(١)، والإباضية يزعمون أنه قد يستغني عن نصب الخليفة ولا تعود إليه حاجة إذا عرف كل واحد الحق الذي عليه الآخر وهذا القول أكثر ما شهر عن المحكمة والنجادات.

ومن الإباضية من ينفون هذا القول عنهم ويعتبرونه من مزاعم خصومهم عنهم وأن مذهبهم هو القول بوجوب نصب الحاكم للناس قال السالمي (والإمامة فرض بالكتاب والسنة والإجماع والاستدلال)^(٢).

وموقفهم هذا يتفق مع مذهب أهل السنة فإنهم يرون وجوب نصب الحاكم حتى وإن كانوا جماعة قليلة فلو كانوا ثلاثة في سفر لوجب تأمير أحدهم كما دلت النصوص الثابتة وأن من قال بالاستغناء عن نصب الحاكم فقد كابر عقله وكذب نفسه ورد عليه الواقع من حال البشر.

(١) الخوارج / للعواجي ص ٢٨٠.

(٢) الإباضية بين الفرق على معمر ص ٢٨٩، غاية المراد للسالمي ص ١٨.

والإباضية كالخوارج كافة ينظرون إلى الإمام نظرة صارمة هي إلى
الريبة منه أقرب ولهم شروط قاسية جداً لا تتوفر إلا في القليل النادر من
الرجال وإذا صدر منه أقل ذنب فإما أن يعتدل ويعلن توبته وإلا فالسيف
جزاؤه العاجل وتاريخهم خير دليل على ذلك:

وجوز الإباضية كأهل السنة صحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل
إذا تمت للمفضول خلافاً لسائر الخوارج.

وجوز الإباضية التقية خلافاً لأكثر الخوارج وقد أورد الربيع بن حبيب
في مسنده روايات في الحث عليها تحت قوله (باب ما جاء في التقية) ومنه
قال جابر: سئل ابن عباس عن التقية فقال قال النبي ﷺ: رفع الله عن أمتي
الخطأ والنسيان وما لم يستطيعوا وما أكرهوا عليه^(١).

قال: (وقال ابن مسعود ما من كلمة تدفع عني ضرب سوطين إلا تكلمت
بها وليس الرجل على نفسه بأمين إذا ضرب أو عذب أو حبس أو قيد) أي
وهو يجد خلاصاً في الأخذ بالتقية^(٢).

الرد:

رد كثير من العلماء على الإباضية برأيهم في جواز تولي الإمامة من
غير قريش بناء على الأحاديث الواردة في أحقية قريش ومنها:

١- جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ
(لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم إثنان)^(٣).

(١) أخرج الحديث ابن ماجه ج ١، ص ٦٥٦ والبيهقي في السنة الكبرى ج ٣ ص ٣٥٧.

(٢) فرق معاصرة / د. غالب عواجي ص ١٣٧-١٣٨.

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٠٥.

٢- حديث جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الناس تبع لقريش في الخير والشر)^(١).

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ (الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم)^(٢) فهذه أحاديث عامة وردت ما يقيد عمومها باستقامة قريش على الدين والمحافظة عليه كما جاء في حديث معاوية رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين)^(٣).

والسلف يرون أن التقية رخصة أباحها الله بشروطها لمن احتاج إليها والذين أجازوها من السلف يرون أنها لا تكون إلا باللسان فقط لا يتعدى حكمها إلى العمل بحال مع إضمار عداوة الكفار عند الضرورة وبعضهم قال: إن التقية لا تجوز خصوصاً بعد أن أعز الله الإسلام وانتشر بين الناس وصار المسلمون أهل قوة ومنعه يقول الشوكاني بعد إيراده الآية ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] (وفي ذلك دليل جواز الموالاة لهم مع الخوف منهم ولكنها تكون ظاهراً لا باطناً وخالف في ذلك قوم من السلف فقالوا: لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام)^(٤).

(١) المرجع السابق وصحيح سلم ج ٦ ص ٣.

(٢) الهامش السابق.

(٣) الهامش السابق.

(٤) فتح القدير ج ١ ص ٣٣١.

• المبحث الثاني: المرجنة:

تمهيد:

يعتبر الفكر الأرجائي من أشد الانحرافات التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية ونتج عن ذلك الفكر الخطير آثاراً مدمره في حياة الأمة لا تزال إلى يومنا هذا.

وما من شك أن الفكر الأرجائي كان من أشد الانحرافات التي أقررتها الفرق التي حادت عن طريق أهل السنة والجماعة.

فستحدث عن نشأة هذا الفكر وأطواره باختصار ثم انتشار ذلك الفكر المدمر في أوساط الأمة الإسلامية ومدى ما تسبب في تدهور لأحوال المسلمين وما خلفه من آثار سيئة في حياتهم ومع ما مر به هذا الفكر من مراحل وتباين في معناه من طائفة لأخرى ومن بدء ظهوره إلى زمن استقراره النهائي فإنه يهمننا خطان اثنان سار خلالهما وإن كان أولهما أهون من الثاني:

الخط الأول: ما يسمى بأرجاء الفقهاء، وهو التصديق بالقلب والإقرار باللسان أو (المعرفة بالله والإقرار بالله والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون تفسير) ^(١).

الخط الثاني: الذي سار عليه الفكر الأرجائي فهو ما يسميه بأرجاء الجهمية وهو القول بأن الإيمان هو المعرفة فقط ^(٢).

وهو شبه فلسفية بحثة ليس لها في الأصل أي مستند نصي ولهذا لم

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الأشعري ٢٢١/١.

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢١١، الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان رأس الضلالات.

يتردد أئمة السلف في تكفير أصحابه والتشنيع به ومن علماء السنة الكبار من فرق بين مسمى المرجئة ومسمى الجهمية وذلك لأن المرجئة عندهم مبتدعة والجهمية كفار.

يقول الفضيل بن عياض (أهل الارزاء يقولون الإيمان قول بلا عمل وتقول الجهمية الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل ويقول أهل السنة الإيمان المعرفة والقول والعمل)^(١).

تعريف الارزاء:

لغة: هو التأخير والإمهال. قال تعالى ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الشعراء: ٣٦] أي أمهله، ومن الرزاء وهو ضد اليأس الأمل قوله تعالى ﴿أَوَلَيْكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨].

الإرزاء اصطلاحاً:

ويطلق على معنيين:

المعنى الأول: يدل على موقف المرجئة السياسي أنهم يقولون أن اتباع هذه الفرق المتطاحنة هم مسلمون، وكل فرقة تعتقد أنها على حق فكيف يحق للمرجئة وهم بشر أن يحكموا على أن هذه الفرقة أو تلك كافرة أم مؤمنة؟ وماذا يديرنا من أمر كل فرقة فاتخاذ موقف الحياد يتضمن حتمًا الشك في شأن الأطراف المتنازعة من كان منهم على حق ومن منهم على خطأ؟ وفي حالة الشك يجب الامتناع عن إبداء الرأي والحكم فالله وحده هو العالم بخفايا الأمور وأحكامه وحدها هي الصادقة واستدلوا بقوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ

(١) تهذيب الآثار ج ٢ ص ١٨٢.

أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿[الزمر: ٥٣].

المعنى الثاني: لقد اعتبر الخوارج الأفعال المفروض تأديتها شرعاً شرطاً أساسياً للإيمان واعتبر الشيعة الاعتقاد بالإمامة ركناً من أركان الدين لكن المرجئة قالوا: أن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله فمن عرف أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مؤمن. فهم لا يعتبرون الأفعال الظاهرة من صلاة وصيام وحج وجهاد شرطاً للإيمان وحبّتهم في ذلك هي أن القرآن نزل باللغة العربية وفي هذه اللغة لفظ إيمان يعني العقيدة أو التصديق والأفعال التي يقوم بها الإنسان بواسطة جسده لا تدعى إيماناً بل اعتقاداً فهذه الأفعال ليست إيمان واستدلوا على حديث جبريل عليه السلام المشهور (الإيمان أن تأمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) بمعنى تصدق بهم وقد جاء في القرآن حكاية عن أخوة يوسف ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي مصدق ما حدثناك فالإيمان هو التصديق لا الأفعال ولا الحركات الظاهرة.

وبالاعتماد على هذا التعريف امتنعت المرجئة عن الحكم على كفر أو إيمان الآخرين ليس فقط من المسلمين بل أيضاً من غير المسلمين من يهود ونصارى.. الخ، جميع هؤلاء يمكنهم أن يكونوا مؤمنين حتى ولو قاموا بشرائع موسى وعيسى عليهما السلام في دار الإسلام إذ أنه يمكنهم أن يكون عندهم الإيمان بالله وهذا يكفي. فهم يؤخرون العمل عن النية والقصد ويقولون لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة^(١).

(١) ظاهرة الارجاء سفر الحوالي ج ٢ ص ٥٥٤ بتصرف.

وهذا منافي لصريح قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَا دَخَلْنَا لَهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [المائدة: ٦٥]

الجنور التاريخية للإرجاء:

تكونت أول نواه للمرجئة - كما يدعون - من الصحابة الذين فضلوا
الاعتزال والبقاء بعيداً عن النزاع الذي نشأ في آخر عهد عثمان رضي الله
عنه ونستطيع أن نقسم المرجئة الأولى إلى ثلاث فئات هي:

الفئة الأولى: كبار الصحابة وأجلانهم رضي الله عنهم مثل سعد بن أبي
وقاص، عبد الله بن عمر وأبي هريرة، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد،
ومحمد بن مسلمة وغيرهم وهذا الزعم الذي تبناه قديماً رؤوس الضلالة من
المتكلمين وأعداء الصحابة كالرافضة والخوارج لا نسلم به لأن الكلام في
أصحاب محمد ﷺ دين والدين لا يأخذ عن المسلم الفاسق ولا اعتبار لرأيه فيه
فضلاً عن المبتدع الضال والصحيح أن الصحابة رضي الله عنهم الذين
اعتزلوا الفتنة اعتمدوا على أصل شرعي ثابت بنصوص صريحة عن النبي
ﷺ فقد حدث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ستكون فتن القاعد فيها
خير من القائم والقائم فيها خيراً من الماشي والماشي فيها خيراً من الساعي
من تشرف لها تستشرفه فمن وجد فيها ملجأ أو معاداً فليعذ به)^(١).

الفئة الثانية: بعض سكان الأطراف والمرابطين على ثغور الجهاد

(١) صحيح مسلم، كتاب اشراط الساعة باب نزول الفتن كمواقع القطر، ج ٨ ص ١٦٨

وهؤلاء كانوا يجالدون الأعداء ويفتحون الأمصار فما شعروا إلا والنبأ ينزل عليهم بمقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه كالصاعقة ثم فوجئوا بما تلاه من أحداث فما استطاعوا أن يستبينوا رأيًا فيتبعوه أو يرجحوا طرفًا فيالوه فآثروا مسألة الفريقين والحياد.

الفئة الثالثة: وهي فئة من ذلك الصنف البشري المحدود الإدراك الذي يضيق أفقه أو علمه عند تفهم الخلاف فتثور نفسه ساخطة على طرفيه دون تبصر في الدوافع أو تربيث في الحكم وتبناها الفكر الخارجي الذي بلغ به حنقه على الأطراف جميعًا إلى تدبير مؤامرة لاغتيال زعمائها (علي ومعاوية وعمر بن العاص) رضي الله عنهم على ما هو مشهور في التاريخ^(١).

فرق المرجئة:

المرجئة ثلاثة أصناف: صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالأقدار على مذاهب القدرية والمعتزلة.

وصنف منهم قالوا بالإرجاء بالإيمان وبالجبّر في الأعمال على مذهب جهنم بن صفوان فهم إذن من جملة الجهمية.

والصنف الثالث منهم خارجون عن الجبرية والقدرية وهم فيما بينهم خمس فرق: اليونسية، والغسانية، والثوبانية، والقرمنية، والمريسية^(٢).

اليونسية:

هم اتباع يونس بن عون الذي زعم أن الإيمان في القلب واللسان وأنه المعرفة بالله تعالى، والمحبة والخضوع له بالقلب والإقرار باللسان أنه واحد

(١) ظاهرة الإرجاء، د. سفر الحوالي، ص ٣٠٥ بتصرف.

(٢) أنظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٠٢ بتصرف.

ليس كمثلته شيء ما لم تقم حجة الرسل عليهم حجتهم لزمهم التصديق لهم والإيمان عندهم كل لا يتجزأ

الفسانية:

هم اتباع غسان المرجيء الذي زعم أن الإيمان هو الإقرار أو المحبة لله تعالى وتعظيمه وترك الاستكبار عليه وقال: إنه يزيد ولا ينقص وخالف اليونسية بأنه سمي كل خصلة من الإيمان بعض وزعم غسان هذا في كتابه إن قوله في هذا الكتاب كقول أبي حنيفة فيه وهذا غلط منه عليه لأن أبا حنيفة قال إن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله تعالى وبرسله وبما جاء من الله تعالى ورسله في الجملة دون التفصيل وإنه لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه وغسان قال إنه يزيد ولا ينقص.

التومنية:

هؤلاء اتباع أبي معاذ التومني الذي زعم أن الإيمان ما عصم من الكفر وهو اسم لخصال من تركها أو ترك خصلة منها كفر ومجموع تلك الخصال إيمان ولا يقال للخصلة منها إيمان أو بعض إيمان ، ومن أعجب ما زعم قوله من لطم نبيا أو قتله كفر لا من أجل لطمه أو قتله لكن من أجل عداوته وبغضه واستخفافه بحقه.

الثوبانية:

هؤلاء اتباع أبي ثوبان المرجيء الذي زعم أن الإيمان هو الإقرار والمعرفة بالله وبرسله وبكل ما يجب في العقل فعله وما جاز في العقل أن لا يفعل فليست المعرفة به من الإيمان.

المريسية:

أتباع بشر المريسي وهم مرجئة بغداد وقالوا إن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعاً وزعم بشر أن السجود للصنم ليس بكفر ولكنه دلالة على الكفر^(١).

تطور الفكر الإرجالي:

سبق أن ذكرت أن الإرجاء بدأ بخطين الأول هو إرجاء الفقهاء ونقصد به التصديق بالقلب والإقرار باللسان وقد نقل هذا المذهب عن حماد بن أبي سلمان المتوفى سنة ١٢٠هـ وتلميذه الإمام أبي حنيفة المتوفى سنة ١٥٠هـ وقد قيل أن أبا حنيفة رجع عن مذهبه إلى مذهب السلف^(٢).

ويلاحظ على مذهب هؤلاء المرجئة الفقهاء أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان عندهم، وقد لاقى هذا المذهب الفاسد مقاومة شديدة من قبل علماء السلف الذين لم يألوا جهداً في دحر هذه البدعة الناشئة التي يوشك أن يستقر شررها ويستفحل خطرها.

فهذا الأوزاعي رحمه الله يقول (كان يحيى بن أبي كثير وقتادة يقولان: ليس من أهل الأهواء شيء أخوف على الأمة من الأرجاء)^(٣).

وقال الزهري (ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء) وقال شريك القاضي وذكر المرجئة فقال (هم أخبت قوم حسبك بالرافضة خبثاً ولكن المرجئة يكذبون على الله)^(٤).

(١) المرجع السابق.

(٢) ظاهرة الإرجاء، د. سفر الحوالي، ص ٢٠٩.

(٣) مجموع الفتاوى ج ٧، ص ٣٩٥.

(٤) كتاب الإيمان لابن تيمية ص ٣٣٩..

هذا هو الخط الأول الذي سار عليه الإرجاء وهو ما يسمى بإرجاء الفقهاء وهو الاكتفاء بالقول دون العمل في مسمى الإيمان وهذا هو الإرجاء الذي ذمه علماء السلف وبالغوا في التحذير منه، يقول الدكتور سفر الحوالي عن هذا النوع من الأرجاء (والقضية التي لا ينبغي أن نقوتها هي أن كلمة المرجئة في اصطلاح هؤلاء العلماء - علماء السلف الذين نموا الأرجاء - إنما تعني هذا الإرجاء أي إرجاء الفقهاء وظل هذا قائماً حتى بعد ظهور أرجاء الجهمية، فكل ذم أو عيب قيل في المرجئة فهو منصرف لهم وحدهم حتى منتصف القرن الثاني تقريباً بل هو الأغلب إلى القرن الثالث)^(١).

ورحم الله السلف الصالح الذين أدركوا خطورة هذه البدعة وما قد ينشأ عنها من آثار سيئة فقاوموها مقاومة شديدة وحذروا الأمة من مغبة الوقوع فيها.

أما الخط الثاني الذي سار عليه الفكر الإرجائي فهو ما يسمى بإرجاء الجهمية وهو القول بأن الإيمان هو المعرفة فقط.

وقد إنقرض القائلون بأن الإيمان هو مجرد المعرفة القلبية ولكن العجيب هو قيام أعظم مذهبين في الإرجاء وهما الأشعرية والماتريدية اللذان يشكلان جملة الظاهرة العامة على أصوله في أن الإيمان هو ما في القلب فقط حتى أن الماتريدية - وكلهم أحناف - أولت ما هو مشهور.

عن أبي حنيفة من أن الإقرار باللسان ركن آخر للإيمان وجعلوه علامة فقط، فجمهور المحققين من الأشاعرة والماتريدية على أن الإقرار باللسان ليس شرطاً في صحة الإيمان وإنما هو شرط لإجراء أحكام المسلمين عليه

(١) ظاهرة الإرجاء، د. سفر الحوالي، ص ٣٠٥.

كعصمة دمه وماله والصلاة خلفه وعليه ودفنه في مقابر المسلمين وعلى هذا فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله تعالى وإن لم يكن مؤمناً في أحكام الدنيا^(١).

وهكذا استطاع هذا الخط الجهمي أن يحتوي الخط الأول وغيره من الخطوط، ويصبح هو المهيمن على فكر أكثر الفرق الإسلامية انتشاراً وأن زعم الأشاعر والماتريديّة أن التصديق القلبي الذي جعلوه حقيقة الإيمان عندهم غير المعرفة القلبية التي قال بها جهم.

وعلى أية حال فإن الفرق بين التصديق المجرد من أعمال القلب وبين المعرفة مما يتعذر على العقول إدراكه كما نص شيخ الإسلام في كتاب الإيمان بل أن مذهب المرجئة الفقهاء قد مهد لرأي جهم ثم جاء المرجئة المتكلمون كالأشعري والماتريدي فجعلوه عقيدة أكثر الأمة.

والخلاصة:

أن الظاهرة العامة للإرجاء في طورها النهائي أصبحت مكونة من مذهبي الأشعرية والماتريديّة الذين شمل إنتشارهما معظم الأقطار الإسلامية وتبنيتها أكثر المعاهد الإسلامية شرقاً وغرباً وهذا من أعظم السمات لفكرية لعصور الانحراف في الفكر الإسلامي وفي الحياة الإسلامية العامة.

وحتى تتضح الصورة نعرض لكتاب معاصر ينقل الفكر الإرجائي لنرى خطورة ذلك الفكر المنحرف ومدى ما سببه من آثار وخيمة كتاب الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة تأليف: خالد بن علي بن محمد العنبري جاء في الكتاب المذكور في ص ٨١

(١) شرح الجوهرة للبيجزري ص ٣٥ وشرح النسفية ج ١، ص ١٧٩.

دعواه إجماع أهل السنة على عدم كفر من حكم بغير ما أنزل الله في التشريع العام إلا بالاستحلال القلبي كسائر المعاصي دون الكفر وهذا النص: تحت عنوان مطلب عزيز إثبات إجماع لسلف والخلف من أهل السنة وغيرهم على عدم كفر من حكم بغير ما أنزل الله من غير جحود واستحلال ومن ثم فلا يجوز للمعاصرين مخالفتهم بحال.

ثم ذكر التبديل في الحكم في اصطلاح العلماء هو الحكم بغير ما أنزل الله على أنه من عند الله كمن بالقوانين الفرنسية وقال هي من عند الله أو شرعه تعالى ولا يخفى أن الحكام بغير ما أنزل الله اليوم لا يزعمون ذلك بل هم يصرحون أن هذه القوانين محض نتاج عقول البشر القاصرة والتبديل بهذا المعنى لا بالمعنى الذي يذهب إليه أهل الغلو كفر بإجماع المسلمين... كذا قال.

الرد^(١):

كفر من حكم بغير ما أنزل الله لا يقتصر على الجحود بل يتناول الاستبدال التام وكذا من استحل هذا العمل في بعض الأحكام ولو لم يجدد أو قال أن حكم غير الله أحسن من حكم الله أو قال يستوي الأمران كما نص على ذلك أهل العلم حتى ولو قال: حكم الله حسن ولكن يجوز الحكم بغيره، فهذا الكفر مع أنه لم يجدد حكم الله وكفره بالإجماع^(٢).

الكذب على أهل العلم وذلك في نسبته لعالم نجد ومفتيها عبداللطيف بن

(١) من كتب التحذير من الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه / فتاوى صدرت من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمشيخة العربية السعودية.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ج ١ / ٣٣٧، شرح الطحاوية ص ٢٩٩.

عبدالرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله (من أعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر) (١).

والشيخ يريد بهذا الناقض أصالة من عَرَفَ التوحيد والشرك ثم فضل الشرك وأهله كالذين يمدحون أهل الشرك ويسبون أهل التوحيد (٢)، والحكم بغير ما أنزل الله مما يدخل تحت هذا الناقض لأن الحاكم في الغالب لا يعدل عن حكم الله ورسوله إلى غيره من القوانين والنظم إلا وهو يعتقد أنها الأفضل والأحسن إما مطلقاً أو بالنسبة لما استجد من الحوادث وهذه إحدى الحالات التي نص أهل العلم على كفر الحاكم فيها كفر عقيدة وملة (٣).

- وإن جدد الحاكم أحقية حكم الله ورسوله كأن يعتقد أنه غير واجب أو بريء أنه مخير فيه أو أن الإسلام يحصر علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحكم، لأن من الأصول المقررة بين أهل العلم أن من جدد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجمعاً عليه خرج من الملة.

- أن يعتقد الحاكم أن حكم غير الله يماثل حكمه كما في ذلك من تسوية المخلوق بالخالق المناقضة لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ونحوها من النصوص الدالة عن تنزيه الرب عن مماثلة المخلوق.

- وأن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله كفر بإجماع المسلمين

(١) مجموعة التوحيد ص ٢٧١.

(٢) الدرر السنية ج ١ ص ٦٦.

(٣) تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم ص ٥.

لأنه استباح ما علم تحريمه بالضرورة.

- وأن حكم بما يخالف حكم الله ورسوله من قوانين وعادات وتقاليد كما هو شأن القضاة في المحاكم الوضعية فهؤلاء كفار بهذا الفعل بقطع النظر في اعتقاداتهم لأن كل من امتنع عن الالتزام بحكم معلوم من الدين بالضرورة كفر إجماعاً.

- وأما من التزم بحكم الله ورسوله ثم عدل عن مقتضى التزامه في وقائع معينة لشهوة أو رشوة أو محاباة فهو فاسق وليس بكافر لأنه لم ينقض أصل التزامه بحكم الله ورسوله.

- وإن عدل عنه خطأ وجهلاً بحكم الله فهو معذور إذا كان قد بذل جهده واستفرغ وسعه وله أجر على اجتهداه^(١).

أهم مقالة المرجئة^(*)

تعريف الإيمان:

عرفت المرجئة الإيمان بأنه المعرفة بالله تعالى والتي يكون التصديق بها في القلب وإقرار باللسان. ولا يضر مع هذه الحقائق معصية فالإيمان منفصل عن العمل بل منهم من غالى وأفرط وتطرف فزعم أن الإيمان اعتقاد بالقلب (وأن أعلن الكفر بلسانه) وعبد الأوثان ولزم اليهودية والنصرانية في دار الإسلام وعبد الصليب وألحق التثليث ومات على ذلك فهو مؤمن كامل

(١) أنظر مدارج السالكين لابن القيم ج ١ ص ٣٣٦-٣٣٧، المجموع الثمين لابن عثيمين ج ١ ص ٣٥-٣٦، كتاب العقيدة الواسطية للدكتور الفوزان ص ٣٩-٤٠ بتصرف واختصا..

(*) نقصد بالمرجئة هنا الذين أخرجوا العمل عن الإيمان.

الإيمان عند الله عز وجل ومن أهل الجنة بل أن بعضهم زعم لو أن قالوا أعلم أنه لو قد فرض الحج إلى الكعبة غير أنني لا أدري أين الكعبة ولعلها بالهند كان مؤمناً وبذلك يظهر تهاونهم بالعمل من حيث اتصاله بأصل الإيمان ومن حيث أثره في دخول الجنة^(١).

زيادة الإيمان ونقصه:

لقد منع المرجئة زيادة الإيمان ونقصانه وفسروا ما ورد في زيادة الإيمان ونقصانه بتجدد أمثاله. والتزموا أن التصديق لا يتجزأ وإذا تطرق إليه الاحتمال فسد كله واختل وزال.

قال شيخ الإسلام بن تيمية وأصل الشبهة في الإيمان أن القائلين إنه لا يتبعض قالوا: إن الحقيقة المركبة من أمور متى ذهب بعض أجزائها انتفتت تلك الحقيقة كالعشرة المركبة من أحاد فلو قالوا أنه يتبعض لزم زوال بعض الحقيقة مع بقاء بعضها فيقال لهم: إذا زال بعض أجزاء المركب تزول الهيئة الاجتماعية بالتركيب لكن لا يلزم أن يزول سائر الأجزاء^(٢)، أما أهل السنة فاعتقادهم كما وضحنا في الرد على الإباضية أن الإيمان يزيد وينقص لكثرة الآيات والأحاديث الواردة في ذلك منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] وقوله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وهكذا تغالي المرجئة إلى أن جعلوا أعظم أركان الإسلام التي هي

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٠.

(٢) الفتاوى لابن تيمية، ج ١٨ / ص ٢٧٦.

الجزء الظاهر من الإيمان بالله بمنزلة شهادة الشهود أو القرائن الظاهرة التي قد يكون الواقع مخالفاً لها حتى أنهم قالوا: إن من سب الله - تعالى الله عما يقولون - أو قتل الرسول يجوز أن يكون مؤمناً في الباطن ولا يكون كافراً قط إلا إذا انتقى العلم الباطني من قلبه.

فكثير من الأشعرية والماتريدية صرحوا بنفي أن يكون النطق بشهادة أن لا إله إلا الله داخلاً في الإيمان، يقول أبو منصور البغدادي أحد الأئمة من الأشاعرة (وأما الإقرار وهو كلمة الشهادة والعمل الذي هو فعل المأمورات وترك المنهيات فليسا من الإيمان ولا يكون تاركهما كافراً فإن كان تاركاً للإقرار كان مؤمناً عند الله فحسب وإن كان تاركاً للعمل كان مؤمناً عند الله في أحكام الدنيا أيضاً)^(١).

ويقول الدسوقي شارحاً لكلام السنوسي أحد أئمة الأشاعرة المتأخرين بعد ذكر حكم التلطف بالشهادة وهل هي داخله في الإيمان والأقوال في ذلك رجع أن النطق بالشهادتين ليس شرطاً في صحة الإيمان ولا جزءاً من مفهومه وإنما هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية وهو المعتمد في المذهب^(٢) الأشعري كما يقول، ومن آرائهم:

١- الإيمان هو الاعتراف بالله والرسول فحسب والعمل ليس ضرورياً للإيمان وعلى هذا فالمرء يبقى مؤمناً حتى لو كان تاركاً للفرائض مرتكباً للكبائر.

(١) أصول الدين للبغدادي ص ٢٦٨ من كتاب ظاهرة الإرجاء لسفر الحوالي ص ٤٩٢.

(٢) حاشية البراهين للسنوسي ص ٢٣٥ وشارح الجوهرة ص ٣٩-٤٠.

٢- أساس النجاة هو الإيمان فحسب وأي معصية مع الإيمان لا تلحق بالمرء ضرراً ولا أذى وبحسب ابن آدم كي يغفر له أن يتجنب الشرك ويموت على عقيدة التوحيد^(١).

٣- زاد بعضهم على ذلك فقال أن الكبائر التي هي دون الشرك مغفورة لا محالة.

٤- وقال بعضهم: إذا كان المرء يؤمن بقلبه وأعلن الكفر بلسانه ولو في دار الإسلام، حيث لا خوف من أحد أو عبد الأصنام أو تهود أو تنصر فهو كامل الإيمان وولي الله ومن أهل الجنة^(٢).

ومثل هذه الأقوال وإن كانت شائعة قبل ألف عام فهي أو بعضها ما زال حياً للأسف الشديد سواد المسلمين نظراً لما لحقهم من قهر وظلم من حكامهم الظلمة في القديم والحديث^(٣).

ولا شك أن الحكومات قديماً وحديثاً تريد إنتشار مثل أفكار المرجئة لتعيش بسلام وتعتدي بجرأة وتتهب من غير خوف دون أن ترفع بوجهها ولو عصاة.

بيان مذهب أهل السنة :

قالوا أن الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان - المرجئة - ويقولون الإيمان هو التصديق بالقلب أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط وليست منه فمن صدق بقلبه،

(١) أنظر ظاهرة الارزاء ص ٦٢٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الإنحرافات العقدية والعلمية وعلى بخيت الزهراني ص ١٣٥.

ونطق بلسانه، فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيراً قط، ولزم على ذلك الضلال لوازم باطلة، منها حصر الكفر بكفر التكذيب والاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل وضلال مبين، مخالف للكتاب والسنة وما عليه جمهور أهل السنة والجماعة، وأن هذا يفتح باباً لأهل الشر والفساد للإنحلال من الدين وعدم التقيد بالأوامر والنواهي والخوف والخشية من الله سبحانه وتعالى ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويسوى بين الصالح والطالح والمطيع والعاصي والمستقيم على دين الله والفاسق المتحلل من أوامر الدين ونواهيه ما دام أن أعمالهم هذه لا تُحل بالإيمان كما يقولون ولذلك اهتم أئمة الإسلام قديماً وحديثاً - ببيان بطلان هذا المذهب والرد على أصحابه، وجعلوا لهذه المسألة باباً خاصاً في كتب العقائد، بل ألفوا فيها المؤلفات مستقلة كما فعل شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله وغيره، قال شيخ الإسلام رحمه الله ومن أصول أهل السنة والجماعة «أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»^(١).

مما سبق نلاحظ اعتماد المرجئة في إخراج العمل عن مسمى الإيمان على ما يأتي:

١- أن الإيمان في اللغة بمعنى التصديق فيجب أن يكون هذا المعنى

(١) مجموع الفتاوى ج ٧ ص ٢٠٩.

شرعاً والتصديق يكون بالقلب، قال الباقلاني (الإيمان هو التصديق بالله وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب)^(١).

٢- النصوص الدالة على محلية القلب قال تعالى ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]

٣- النصوص الدالة على أن الإيمان والعمل أمران متغايران قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]

٤- النصوص الدالة على إثبات الإيمان لمن ترك بعض الأعمال ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩]

٥- تفسير الإيمان بالقول دون العمل، روى مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...) ^(٢).

الرد:

١- أهل السنة يقولون بأن معنى الإيمان التصديق والتصديق يكون بالقول تارة ويكون بالفعل أيضاً فتفسير الإيمان لغة بمعنى التصديق لا يدل على إخراج العمل عن مسمى الإيمان كما توهمت المرجئة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فزنى العين النظر وزنى اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)^(٣).

(١) التمهيد للباقلاني ص ٣٤٦-٣٤٧.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان ج ١ ص ٣٧.

(٣) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٣٠٤.

فالإيمان شرعاً باق على معناه في اللغة ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً بنصوص القرآن والسنة التي تدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق.

١- أن النصوص الدالة على الإيمان القلبي لا تدل على الحصر بل تدل على عمل القلوب كالوجل والإخبات والخشوع فهي من عبادة القلب.

٢- أن اسم الإيمان من الأسماء التي تختلف دلالتها باعتبار الأفراد والاقتران فإذا أفرد دل الإيمان على الإسلام كله أصوله وفروعه وإذا قرن بالعمل الصالح يكون اسماً للجزء الباطن من الدين، وما في القلب من الأقوال والأعمال كالتصديق والمحبة والخوف... وغيرها.

٣- أن النصوص التي استدلوا بها على إثبات الإيمان بالقول دون العمل نصوص في إثبات الإيمان الظاهر لا حجة فيها على تفسير الإيمان الحقيقي الموجب للجنة إنما أخبر عن أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا.

٤- قولهم الإيمان كل لا يتجزأ يرد عليه بأن الإيمان لو كان مركباً لزال بزوال جزئه غير صحيح لأن زوال جزء المركب لا يستلزم زوال الهيئة الاجتماعية للمركب فالعشرة مثلاً إذا زال واحد لم تزل سائر الأجزاء بل تبقى تسعة وكذلك الجبل والمدينة والتراب إذا زال بعضه بقي الأصل والإيمان من هذا النوع تذهب بعض شعبه ويبقى أصله كما تواترت بذلك النصوص^(١).

وقال في كتاب الإيمان (ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في

(١) الفتاوى ج ٧ ص ٤٠٤-٥١٩ باختصار.

تفسير الإيمان فتارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل هذا صحيح^(١).

وقال رحمه الله (وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه نفهمهم للغة وهذه طريقة أهل البدع.

ومن الأدلة على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان وعلى زيادته ونقصانه بها قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]

وقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]

وقوله صلى الله عليه وسلم (الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله بل كل من تأمل ما نقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان، وأنه لم يكن يجعل كل

(١) كتاب الإيمان ص ٣٠٧.

من أذنب ذنبًا كافرًا، ويعلم أنه لو قدر أن قومًا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن نؤمن بما جئنا به بقلوبنا من غير شك ونقر بالسنتنا بالشهادتين إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه فلا نصلي ولا نصوم ولا نحج ولا نصدق الحديث ولا نؤدي الأمانة ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيئاً من الخير الذي أمرت به ونشرب الخمر وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك ونأخذ أموالهم... هل كان يتوهم عاقل أن النبي ﷺ يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملوا الإيمان وأنتم شفاعتي يوم القيامة ويرجى لكم أن لا يدخل أحد منكم النار.

بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم أنتم أكفر الناس بما جئت به ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك وإن استحلوا ذلك كفروا وارتدوا بعد إيمانهم وإن لم يستحلوا القتل وشرب الخمر أقيم عليهم الحدود المروعة.

وأما ما جاء في الحديث أن قومًا يدخلون الجنة لم يعملوا خيراً قط فليس هو عاماً لكل من ترك العمل وهو يقدر عليه وإنما هو خاص بأولئك لعنر منهم من العمل أو لغير ذلك من المعاني التي تلائم النصوص المحكمة وما أجمع عليه السلف الصالح في هذا الباب.

ونذكر نواقص الإسلام العشرة وقال لا فرق في جميع هذه النواقص بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر ما يكون وقوعاً فينبغي للمسلم أن يحذرها.. وقد وجد في هذا الزمان من المنتسبين إلى العلم من يقول (أنه لا يكفر الإنسان مهما قال أو فعل من أنواع الكفر إلا إذا كان مكذباً في قلبه وعلى هذه المقولة الشنيعة يكون أبو جهل وأبو طالب وغيرهما من أصناف الكفرة مؤمنين لأنهم لا يكذبون الرسول ﷺ في قرارة أنفسهم وإنما يجحدون رسالته في الظاهر تكبراً وعناداً كما قال

تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

وقال فيمن قبلهم من أعداء رسالات الرسل ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، ومن عجيب أمر بعض من كتب أو تكلم من المعاصرين في هذه المسألة الخطيرة وتبنى مسألة الإرجاء الشنيع أنهم ينسبون هذا إلى السلف ويجمعون بين المتضادات من الأقوال ظانين أنها تؤيدهم في مسلكهم.

فنسأل الله لنا ولهم الهداية للعلم النافع والعمل الصالح وأن يجنبنا جميعاً القول عليه بلا علم ويوفقنا لقول الحق والعمل به وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه^(١).

خطر انتشار الفكر الإرجائي؛

- خطر إنتشار الفكر الإرجائي كبير نحاول أن نلخصه فيما يلي:
- ١- ضعف عقيدة الولاء والبراء نتيجة الفكر الإرجائي مما أدى إلى المسالمة لمن ألحد في دين الله وعادى المسلمين وموالات الكافرين.
- ٢- اصطدمت فكرة الإرجاء بالعقيدة السلفية فشنعوا عليهم الإرجائيون وسموهم بالوهابية.
- ٣- نتيجة هذا الفكر الإرجائي انتشرت كثير من مظاهر الشرك.
- ٤- صمت الناس حيال ما يصدر من حكامهم من خرق لأحكام الدين وانتهاك لمحارمه ومن ظلم واضطهاد للناس.
- ٥- استمر التيار الإرجائي ينخر في كيان الأمة الإسلامية ويذكيه ما كان ينشره علماء الكلام ويقومون بتدريسه في كبرى المعاهد الإسلامية كالأزهر الشريف والزيتونة والقيروان وغيرها من دور العلم التي هيمن عليها الإرجاء.

(١) اختصار لما ورد في الفتاوى الصادرة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء.

٦- تراجع امتداد الدعوة السلفية في مطلع العصر الحديث نتيجة الحملات الشديدة التي قوبلت لها كانت منطلقة من قواعد الإرجاء.

٧- كان علماء العصور الوسطى للإسلام من المرجئة أو المتأثرين بالإرجاء يحجمون عن تكفير ملاحدة وحده الوجود وأمثالهم من الزنادقة ويتمحلون لهم التأويلات أما علماء الإرجاء في عصرنا الحالي استغنوا عن التأويلات لأن الإسلام في عرفهم وراثته لازمة كما تورث الأسماء لهذا تجرأ الملاحدة على دين الله سخرية واستهزاء.

٨- نسي الناس تكفير الباطنية والقرامطة والدروز والنصيرية وأمثالها وغاب عنهم تماماً كفر طواغيت الدجل والخرافة والسحر.

٩- سقط حد الردة إلا من كتب الفقه الموروثة فلم نسمع فيها أن حد الردة أقيم على زنديق مجاهر أو ملحد مكابر وهم كثر اليوم. وأن أقيم نادوا بحقوق الإنسان وحرية الرأي.

١٠- من المعلوم في بدائه العقول أن كلمة التوحيد لو كانت مجرد لفظ فقط لما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقي من عنت في سبيلها هو وأصحابه الأبرار ولكنها كلمة قامت بها السموات والأرض وكمة لها شروط ونواقص ولو فهم الصحابة والتابعون ما فهمت المرجئة لما قام لدين الله قائمة ولما انتشر الإسلام وبقي إلى هذا اليوم ولما جردت السيوف وضربت الرقاب في سبيل الله.

• خاتمة باهم النتائج:

١- أن الانحرافات العقدية والعلمية قد ظهرت مبكراً وإن كان في وقت ظهورها تفاوت وكانت دائرتها تتسع مع مرور الزمن حتى القرن الحالي استمرت الانحرافات وقلة من يتصدى لها اليوم فالإباضية كفرقة امتدت من الخوارج مستمرة الوجود إلى اليوم في عمان والمغرب وتونس واليمن وحضرموت وكذلك المرجئة منتشرة في جميع بقاع العالم الإسلامي.

- ٢- حافظت فرقة الإباضية على وجودها من خلال الكتمان والتقية والعزابة وكلها أنظمة عمل بها خلال مراحل تاريخ الفرقة الطويل.
- ٣- توافق الإباضية أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان بأنه قول وعمل وتخالف في مرتكب الكبيرة.
- ٤- تذهب الإباضية إلى القول بآراء المعتزلة في الإلهيات والسمعيات وتتكبر أحاديث الآحاد.
- ٥- توافق الإباضية أهل السنة والجماعة في وجوب الإمامة وجواز إمامة المفضل على من هو أفضل منه ولكن يقولون بكفر الإمام إذا عصى وبعضهم يرون الخروج عليه.
- ٦- تخالف مذهب أهل السنة والجماعة في القول بفضل الصحابة وأنهم جميعًا عدول بما عدلهم الله في القرآن الكريم وترضى عنهم والإباضية ترى أن لا فضل لهم إلا بالرؤية للرسول ﷺ ومنهم العاصي والفاسق والكافر.
- ٧- يعتبر الفكر الإرجائي مقابلاً ومضاداً للفكر الخارجي الذي منه انبثقت الإباضية.
- ٨- الفكر الإرجائي نتيجة ضغوط سياسية وقهرية للأمة والإباضية كانت نتيجة لاضطهاد الدولة الأموية والعباسية ومرورها بمراحل الكتمان والشرأة والتقية والعزابة الذي استقرت عليه الآن.
- ٩- انتشار الفكر الإرجائي في أوساط المسلمين بكثرة وبقوة وبدعم من أعداء المسلمين، أدى بها إلى السيطرة على كثير من المراكز الحساسة في بعض الدول الإسلامية وعجلتها الاقتصادية.
- ١٠- إن أهم العقبات في طريق الصحوة تتمثل في استمرار الانحرافات العقدية العلمية.

١١- أنه بالرغم من ضخامة العقبات وكثرتها إلا أن هناك من المبشرات الشرعية والمحسوسة ما يبشر أن المستقبل للإسلام وأن النصر سيكون للصحة الإسلامية قريباً إن شاء الله.

• أهم المراجع:

- ١- إزالة الاعتراض عن محقي آل أباض: محمد يوسف أطفيش
- ٢- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منهم د. غالب عواجي.
- ٣- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقه: د. محمد أبو زهرة
- ٤- ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي: د. سفر الحوالي
- ٥- في مذاهب الإسلاميين: عامر النجار.
- ٦- أديان وفرق: د. محمد الخطيب - محمد الهزايمة
- ٧- الإباضية عقيدة ومذهباً: د. صابر طعيمة
- ٨- طلقاء المعهد الرياضي في حلقات المذهب الأباضي: سالم بن حمود السيابي قاضي في المحكمة الشرعية بمسقط.
- ٩- نشأة الحركة الإباضية: عوض خليفات
- ١٠- العقود الفضية في أصول الإباضية: سالم بن حمد الحارثي
- ١١- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: د. أحمد حمد أحمد جلي
- ١٢- الأصول التاريخية للفرق الإباضية: عوض خليفات
- ١٣- تاريخ الحركات الفكرية واتجاهاتها في شرق الجزيرة العربية وعمان: عبدالرحمن بن عثمان بن محمد ملا

- ١٤- الإباضية ومدى صلتها بالخوارج: د. عامر النجار
- ١٥- الانحرافات العقيدة والعلمية في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين وأثارها في حياة الأمة: علي بخيت الزهراني
- ١٦- فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام: د. غالب بن علي عواجي
- ١٧- الدعائم سلطنة عمان وزارة التراث القومي: أبو بكر أحمد بن النظر العماني: شرح الشيخ حمد بن وصاف الفقيه العماني
- ١٨- الحكم بغير ما أنزل الله وأصول التكفير في ضوء الكتاب والسنة وأقوال السلف: خالد بن علي العنبري
- ١٩- قناطر الخيرات: أبي طاهر إسماعيل الجيطالي النفوسي
- ٢٠- اللمة المرضية من أشعة الإباضية: نور الدين عبدالله
- ٢١- النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال أفريقية في مرحلة الكتمان: د. عوض خليفات
- ٢٢- الإباضية في الخليج العربي: د. نايف السهيل

